مجموعة قصصية

التداعيات

أشرف الخريبى

الأهداء

الى الذى ادعى أنه دعانى

وادعيت أنه دعى علىَ

وجلست بالقرب منه مُدعيًا.....

سرورى به

ولكنى بلا أى داع داومت علي الدعاء عليه،

بدعوة الكتابة الجميلة

أشرف

محاولة الخروج

وقررت أن اعتذر لهم واحدا واحدا . أو شخصا شخصا ثم قلت أعتذر لهم مرة واحدة كلهم . وقلت أعتذر لهم علي انفراد . وقلت يكفي الابتسام والكلام الجميل المجامل والسؤال عن الاحوال والصحة . نعم سوف تخف حدة الأشياء تلقائيا ، وكنت خائفا وكنت حزينا ، وكنت حائرا ، والضمير الذي ينحز في في انسانيتي لا يتوقف عن الدق ، ورحت ، جريت في الشارع . من حارة لحارة ، في البراح تعبت . في المطر تبللت ناديت علي السماءوالشمس الخائفة المجروحة من كلماتي البذيئة أخ مرة لها . لم أكن اقصد يا هانم كل ما قلت ، أنتي تعرفين انني لا أقصد كل ما اقول . لماذا يا هانم تغضبين مني وتجعليني ادوخ في الشوارع كالعبيط وناديت علي الليالي السهرانة في عيوني ايام زمان .

واشتكيت لها حالي وقلت يارب اغفر لي . كان سخيفا وأخطأ في حقي . كيف يا رب نملك العفو عن اللذين ؟ كبف ؟ الرجل لم يقل شيئا ولم يخطا وقال الصح ولا يصح الا الصحيح ولكن الموضوع كبرير ويحتاج واحد كبير ا .

لماذا يا سيد ؟ هل تعبت المسافات بيني وبينك لهذه الدرجة ؟

هل انت حزين يا سيد ؟ اذهب كما تريد . ضاجع النجوم في عز الظهيرة يا استاذ . وسوف اذهب انا لاي حائط واخبط رأسي فيه .

وأقول لها ان البيوت لم تسقط فوق احلامي ابدا ، اذهب يا سيد وقول ما تريد لا يهمني .

وأمسكت الطوبة وقذفت بها في الماء فابتسم لي الاوز الذي تعلمه امه .

وابتسمت لي تلك الصغيرة الخضراء التي لفت عنقها ناحيتي وتفهمنا الحكاية بسهولة وشرحت لها فاقتربت من الشاطيء وعندما انتهيت رفعت جناحيها لأعلي وانتفضت فتنسم وجهي بالماء القليل وجرت لامها ، وكانت أعصابي بالفعل تالفة كما قال لي .

(وليس علي أي فلان في هذا العالم ان يتحمل أي فلان ..)

وتداخلت الاحساسات الكثيرة التي لم استطع ككل مرة تماما أن اسميها . وجرت قدمي فوق الطين وتلوث ذهني بعبارات فارغة كان يجب علي أن اقولها في وقتها . وتمدد في يدي أنفعال جعلني أطبق الاصابع بعنف . واخبط جبهتي وحاولت أن أنهي الذي بدأت ، حاولت ان ابدأ بوصف كل ما أراه وجربت أن أحسب المسالة هذه المرة بشكل أخر ، وأدقق ، وحاولت أن أشبك يدي للخلف ، حاولت أن أقفز الي المظلة التي هناك عند البركة الواسعة من الماء المتجمع ، وخفت علي الجزمة ،خفت علي نفسي . خفت من الماء الذي انهر بوجودي ، انحنيت للامام ،قفزت خارج هذا العالم ..كانت قدمي ممدة لتحت وخصري لفوق ويدي في الطين ..جلست كلي في البركة هادئا وشاعرا بالبرودة تجتاح كل جسدي المنتفض .

١٩٩٠ \ ١ \ ٢٦

ذلك السيد أنا والسادة هم

((كيف يكون من حقي ان احبها هي ؟

ولماذا هي ؟

الا توجد امراة اخري في العالم غيرها ؟

نعم لا يوجد . وماذا يقول علي صديقي ؟ انك منحط وقذر..

ولماذا يقول ذلك ؟ لانك بالفعل كذلك ، كيف سمحت لنفسك ان تقول لها أنك تحبها

.....

والنوافذ مرحلة أولي لضباب هائل ، وانا دوار ، جوال حول نفسي ولا أتقدم ابدا للأمام دائما ، ارجع للخلف ، هارب منها ومنه . وليس لدي القدرة علي أجتياح الأعماق ، الأشياء وكل الاشياء . تترسب في ذاتية وخصوصية أكثر عمقا ، وليس من حققك أن تحبها أو تحبك . وأنا عارف تماما . أنه ليس هناك ازمة من أي نوع . فقط انحطاط من جانبي ورفض من جانبها ان تنتهي علاقتنا .

ليس هذا هو المرضوع ، الموضوع أكبر بكثير... اجرة الشهر لصاحب البيت . سوف يحضر ويقول أنني تاخرت في الدفع . وساقول له أنت كريم جدا ياحاج ، اتركني للخميس القادم . سوف يتذمر وينطر بيده ويقول مثلا شعبيا أو نصيحة . محتدا يقف وانا اعده أن أدفع الاجرة الخميس القادم . ويحمر وجهه من الغيظ وينظر الي بشراسة ويستاذن مع التأكيد .

الخميس الذي سوف يجيء ، لا ، لم يكن هذا هو الوضوع ، كانت كل الطرقات فارغة وهازمة لكياني المتلالي والمسافة بين الانحطاط وقدرتي علي ان اكون منحطا ، لم أقدرها بعد ، أو لعلي سوف أقدرها علي مرور الأيام أذا استطعت .

كيف كنت أعرف ما الذي يعنيه صديقي تماما ؟ كي أكون منحطا وقذرا . وهو الجربوع . القذر \ أنا لست هكذا يا سيد ، خطيبتك هي التي هيات لي فرصة تقبيلها وهي التي قالت أنك جربوع أزرق مدسوس في سيارة ضخمة ، لم تكن من

حقك أبدا . وقالت أن دمك واقف وشكلك غريب انفك افطس ، هل لي انا ذنب في ذلك ؟ انا الذي أبعدتها أكثر من مرة ولكنها قالت أنها تحسني اتمشي في دمها . وقلت لها أنني مرتبط باخر ولكنها أصرت .

وقلت : أنني ساخسره لا محالة . ولكنها رفضت . وصاحب البيت المح من بعيد لحضورها لحجرتي ، وانا أعتذرت له واشتكيت سوء الأحوال .

وأبتسمت لضحكتها الطفولية الجميلة ، وكلما كبرت الأشياء كلما اصبح التفكير فيها اعمق ومع ذلك اكثر حزنا .

٢- وكانت الاوراق التي في يدي لم تشبع بعد من التوقيعات ، وهو قال ان الاجراءات لم تنته بعد .

أذهب عند الاستاذ مصطفي يا محترم .

حاضر .

الختم غير واضح يا سيد . وما ذنبي انا يا استاذ .

سوف أذهب للمدير يا سيد . عندك البيه المدير يا سيد .

ولماذا لا تخلصني يا استاذ . هذه تعليمات يا سيد .

ومالي انا ومال التعليمات يا استاذ .

اف ف ف عندك المدير يا يابيه .

اتلمدير كان يجلس ، جالسا علي مكتبه ، مكتبه الذي في الدور الأول ، يكون علي يدك اليمني وانت تدخل ببطء . بهدوء . المدير يتكلم . كلمة ، كلمتين .

الموظف أهم من المواطن يا سيد . فاهم .

تخرج الحروف مقتضبة مضغوطة لتحت . بالطبع فاهم . ها . هأ . ها .

أصبعه الايمن أو الأيسر ، يده الشمال او اليمين ، واحدة من هؤلاء ، تشير ناحيتي ،" بره " .

انا بره ، بالطبع فاهم .....

الكلامفي عيني وصدري ، وعقلي ، عيناه تلتهم حزني ، وانا الوك في شدقي ، سيادتكم ، حضرتكم . جنابكم . افتح فمي علي أخره بالطبع فاهم ، ها . ها . ها وخوفي علي اخره ومنحني امام مكتبه علي اخري ، والشياء كلها علي اخري ، الختم غير واضح والمفروض ان يكون واضحا ، فاهم . هأ . هأ . ها .

هناك توتر وقلق شديدان صمما علي خرابي ، وايس هناك حل ، ذلك الفساد الذي في العينين ، واهتزار شبكية النظر ، انهزم التفكير . كي تبدو الاشياء مقنعة في البداية ، كل ذلك ليس جديدا ، ما زلت الهث وراء ما هو جديد .

"" ازور السيد البدوي ، لأ انه في طنطا ، يبقي الحسين أو السيدة كل هؤلاء اولياء الله ولا خوف عليهم ولا لاهم يحزنون مثلي .

حين دعت لي وقلت : روح ربنا يوقف لك ولاد الحلال . ورحت ، ولم اجد أولاد الحلال كما اعتقدت ، وجدت رجال ونساء من كل الوان البشر ، لا هم اولاد حلال ولا هم أولاد حرام ، المسالة تحكمها اشياء اخري ، وصديقي يقول انني اخرف ومخي قرب يضرب عندما عرضت عليه ان نذهب معا للمولد ، سحبني من يدي ومشينا ، في اتجاه الشارع ، تفرجنا علي الغارقين في المدد .

وصلیناه .. واذبناه . . وشبكناه .. وتوجناه .. وهدهدناه .. مداااد ، مدد يا مدد ، حين مددت اصابعي المرعوشة ، الخوافة وباحكام لففتها حول حجر الشيشة .

درت . انتشيت . تفككت ، خرج الدخان معتليا سقف حلقي .

فانبسط لما انبسط صديقي . وسالني هل صحوت الان .

قلت : امتلات كل اعماقي بالعفاريت .ز مداااد . وتوجناه .. واذبناه وتوجناه .

وشبكناه .. وهدهدنااااه .. مداااد .. لم اجد بد غير ان أغرق لمنتهاي في هذا المدد .

لم يكن هناك ثمة ما افعله . والموضوع أكبر بكثير مما اتخيل . ليس هناك شيء يسوده نوع من التواصل ولو لمرة واحدة ، الايام اعصار دائم ونزيف دائم ، والفراغ كئيب يحط علي نصف يومي والنصف الاخر تملاه الرغبة والدموع التي لا تنزل .

لم يكن هذا هو الموضوع يا سيد ، كان الموضوع اكبر بكثير من ذلك ، وصليناه واذبناه وتوجناه مداااااد

٢٠ \ ٣ \ ١٩٨٨

وأقذف بنفسي في البحر

حينما مشيت في اتجاه شارع الكورنيش العريض ، قلت ساقذف بنفسي الان . تضايقت ، لانني غير قادر . اولا :علي فعل ذلك . ثانيا : لان المسالة تحتاج لتفكير . كنت انسحب لقدرتي علي تخيل حدوث ذلك . اتصور تماما كيف يتم ، ثم ماذا سوف يحدث ،

تتوقف عربات الكارو والباص والباعة المتجولين واصحاب الاكشاك ، والماشين بلا هدف ، وقليلي الحيلة واصحاب العاهات ، يتجمعون ويضغطون علي بطني .

ناقشت الفكرة وتارجحت علي سلمتين ، وحين وجدت ان صوتي بدا يرتفع مشيت ، تاركا خلفي . هدير البحر ، والنوارس الطيارة ، والمراكب الشراعية تغزوا اشرعتها .

عندما جلست فوق المكتب . وجيء بلقهوة السادة كالعادة . دست في البداية اصابعي في شعري الكثيف ، وتضايقت لانه كثيف .

حاولت ان أركز ، واحترت ، فزعت ، ارتشفت فنجان القهوة في رشفة واحدة " أي والله في رشفة واحدة " ثم كتبت طلب الاجازة ووقعت الاسم بيد متعبة ، ابتسم المدير حين سالني عن صحتي ، سالته عن سر ابتسامته فتراجع للخلف من كثرة الضحك . فتضايقت وسالته عن الذي يضحكه ، اعتدل علي مكتبه وأخذ وجهه

شكلا جادا ، كاتما ما تبقي من نهنهات الضحك في اسفل حلقة وكتب بخط واضح . (يسمح له باجازة ٢١ يوما)

٣- أيضا كنت في اتجاه الشارع ، لا ، في هذه المرة الشارع كان في اتجاهي ، والفكرة في راسي تلح علي ، تضغط .

أن أقذف بنفسي في البحر ، كنت أحسب أن الاشياء تسير كما اريد ، تخيلت النمل والضفاضع والصراصير والذباب والناموس وبعض من حشرات لا اعرفها ، تتفرج علي ، توقعت أن يتغير أي شيء ، ان تصبح الشوارع نظيفة فجأة ، أو تطفح كلها بالمجاري ثم تقفذ الفئران تجري تنط . امسك . أمسك . حاسب . ان تقع قنبلة امامي الأن شيء عادي في مثل هذه الاحوال عادة انام لكني لم اكن اريد أن انام .

كنت متناوما ، وانا امر علي كل المحلات المرصوصة امام بعضها وتتحداني علانية علي المشاهدة ، لم أكن أجرؤ علي النظر ليس لشيء الأ انه لم يكن معي فلوس وحاجتي لأشياء كثيرة . كبيرة ، ولكني اتوقع رغم توقعاتي السابقة ان تجيء المسالة هذه المرة بشكل مختلف .

قلت : ساقذف بنفسي الأن .

كنت اراني طافحا فوق زبد البحر ، والخلق يتجمعون حولي وانا أضحك . أضحك . أضحك .

سالني الرجل اين بنك مصر يا أستاذ؟

سرحت في عيونه البدوية الواسعة دون معني محدد لذلك فقط حدقت فيه ، جلبابه الريفي المفتوح من الأمام حتي منتصف كرشه المنتفخ المتمدد أمامه في استرخاء عذب ، أمام المبني الناصع البياض كانت تشير له يدي وهو يتابع باهتمام ، وفي الغالب كان الرجل قد خاف من نظرتي المتفحصة له . فحاول أن ينهي الموقف حين مضي ناحية الباب دخل مسرعا مخلفا ورائه ضجيجا ما ، فاسلمت نفسي للركض .

(٤) وكانت المراة التي تضاحك صاحبها وتضحك ، تناوشه وتضحك ، تغيظني فاغتاظ ، تنظر علي بجانب عينيها وتضحك حين يجيء الي صوت حبيبتي ، ناعما ، هادئا ، ساحرا .

تقول لي : أحبك ، أقول : احبها ، وتقول ان عيون رائعة ولكنها وتعبة ، واقول لها لا يهمك ، فتبتسم ولكنها تذهب مثل الذين ذهبوا ، تختفي دون ان تقول كلمة واحدة ، كنت رغم ذلك مرهقا ، ارت أن اذهب للأكل او النوم أو الراحة أو حتي لا شيء ، ولكني لم استطع .

ولم أناقش لماذا لم استطع ، فقط اكملت المشي ، والملل .....

والمراة التي ظلت تضاحك صاحبها ، مثيرة من الخلف أذا دققت تماما وبجانبي كانت القروية الشابة التي ظهرت . تسير هادئة دون أن نتعارف . ما اسمك يا أنسة ؟ لم ترد .....

قلت لنفسي ان احساسي الحاد بحبيبتي يمنعني من التزحلق بجانب عيني لمشاهدة أي شيء أخر . والقروية الشابة تتقدمني خطوة وتتأخر عني خطوة ولا توازي أبدا ولو مرة واحدة .

ما اسمك يا انسة ؟ وحتي الان المسالة لم تتعدي حدود راسي ، فقط ارتفع صوتي قائلا : لأ . تلفت حولي بسرعة . تأكدت تماما ان أحدا لم يسمع ، استرحت وخفضت نظري للأرض ومشيت ، كانت قدمي تسير أقل والبطيء يعطيني قدرا كبيرا من الاستماع بمداعبة ما يدور براسي ، ومن الهروب للذكريات القديمة . حينما قررت أن أترك الشارع كنت احسب أن الأشياء تسير كما اشتهي .

تاكدت انني لم اكن خائفا من شيء فقط هو احساس عام غامض لم أتبينه ، ولا جدوي وصوت حبيبتي اللاهث يجيء ناعما ، هادئا . شجيا ، ساحرا ، حين تركت اصابعها تلامس وجهي الساخن ، شعرت لاني اريد ان انام فوق تموجات عينيها ، فوق ذلك البريق الذي يناديني في خفوت .

تصورت وجودها في هذه اللحظة امتدت يدي للامام امسكت هواء ، قبضت أصابعي ، تعصبت يدي ، فوق يد انثي تشبه حبيبتي تمام ، وضحكت بصوت عال ، ضحكت ، اعتذرت ، خجلت ، انا أسف ، افتكرت ان ...

نظر الي رجل يشبه والدي ، فيه نفس الملامح والتقسيمات حتي التجاعيد والشعر الاشيب والنظرة الحادة ، فسلمت عليه بهدوء واتجهت كلي للبحر ...

في هذه اللحظة تماما تلفت حولي ومضيت مسرعا ،

.....

(هو وهي وأنا)

في مواجهة حلم ما . اظل محدقا بعيوني الجاحظة المفتوحة علي أخرها واتأمل كل ما يدور براسي \ عيناي مشجبان كبيران يعلقان كل الاشياء وانا اسير . سجين . معتقل داخل الجدران ، ودائما ما اكون انا في مواجهة هو ...

وتراجعي مستمر وطغيانه هو مستبد ، والاتربة التي ملات كل الأماكن ، حتي ارفف الكتب مميته اشعرها تملاني ، وما زالت عيناي مضاءة . جاحظة . مليئة بالوجع وحب السهر والنكات والجمل الغامضة التي احب ، وهاتين العينين الكليلتين أفركهما . ادعكهما . اقتلعهما الف مرة وانا جالس في انتظار .. قهقه هو .... وهذا ال هو ... غالبا ما افشل تماما في رؤيته ، ليسماثلا أمامي ولكن علي الاقل في ذهني .

٢- وهي لما جاءت الي والصابون يملا عيني رشرشت الماء الدافيء فوق الكتفين العريضين ، فسال عبر انحناءات الفخذين حتي اصابع القدمين ، شعرت بارتياح شديد . اغمضت كل شيء في لذة طاغية وزفرت زفرة كانها خارجة لتوها من الضلوع حين ملست علي ظهري .تبسمت ، التفت اليها ويدها احنونة تمر ببطء تنساب تسكن كهوف سحرية ، فارتخي تماما واستسلم ليديها متظاهرا بالنعاس وهذا ال هو ما زال بيننا والبحر مستعدا لالتقاطي في اية لحظة .

٢- كل الأشياء الذهبية ، نادرة . ويدي لا تمتد الا الي ما هو نادر. كل شيء يتكاتف علي منعي من المرور، الشجر. الجدران . الطيور . الهواء . المزارع . العربات . الشوارع ، والحزن الساكن في الاعماق صامتا ، صموتا لا يثور ولا يصرخ مرة واحدة حين تطا قدمي خطوة في اتجاه ما ، فوق التراب تمر فاراها شبح ، سراب ، تبدا تماما عندما تنتهي . فأبدا . لأن المفروض ان أظل امشي ، أحب الشجر والجدران والشوارع ، رغم ان العناكب الكثيرة تعلقت بجدران حجرتي ، نسجت خيوط عنكبوتية ، تسللت الي سقف رأسي نفسه .وشحنته بخيوط غليظة ضخمة كيما أمر من بينها بقوة واحيانا بعنف .لكني نادرا ما اراني ممكنا .

١٩٨٨

الانسحاب إلى الداخل غير أمن

أثقلني الاندهاش المفاجئ من احتراقي جزء جزء ، ودون أن أقاوم خرافتي باغت هدوئي المستمد من أنين ذاكرتي .

فجأة وعلي حين غرة أسكت قدرتي الغير عادية علي التوتر والقلق ورحت أفتش .

وفتشت عن مخبأ سري في جنبات أي جدار، أي بنايه أستحم في صلابتها وأدهس كل هذه الوجوه اللامعة في وجهي .

كي أستمد عونا ، عل التي فوق عينيها بياض تستبيح لنفسها وجودي.

وتستضيء بضي النوافذ في ساعة الصبح وتنظر نظرة واحدة من الشباك المواجه لجلستي .

منيت نفسي بما يخطر ببالي ، بالفشل الذريع السريع باءت محاولتي الأولي والأخيرة في السيطرة علي نفسي وفي رؤيتها ماثلة أمامي .

وحين قابلت الطرق الناعسة والنخيل ، تداعت كل الأسرة في خاطري .

تداعبني أحلام اليقظة التي لا تتحقق أبدا .

رجل وامرأة مكتوبان في حكاية قديمة جالسان في ليل طويل يقظان .
ساهرا في عيونها شوقا وفي عينيه لهفة ناحبة . جمعت صورا وألوان وأشكال .
بدأت في تركيب الشفتين (هاجس يخطف انعطافي)
ألقيته بعيدا عني وأكملت .. الحاجبان . ملامح الوجه \ الأنف \ الجبهة \ الشعر المستحم في ألفة عائلية .
شكل الأصابع \الابتسامة المستحيلة ، نظرة من ولد العين تخطف القلب .
حركة الشفتين تثير زغب الحياة البدائية ، استدارة النهدين دون حمالة يشعل دما في دمي .
(هاجس جاء ثانية كي يجر محصلة الحلم)
انسحبت باحثا عن جملة \عن وقده \ عن شعلة ، بعض ضوء .
لا مفر من أن أرش كل ما بدأت في صنعه للطرقات الوسيعة .
وحدي تساقط في الحارات الضيقة ألبست ملامحي صمتها المستحب .
استقطبت أمواج الكهرو مغناطيسية من دماغي الخرب ،
أول الأمر انبسط للعدد الهائل من النساء الذين عرفتهم .
لم يكن في خطتي أن أتذكر أحدا بالذات .
تفاديت اشتعال الحكاية والقرارات الأخيرة ،
بدأت في سرد الوقائع بسرعة .
أول الحكاية وأخيرة حاولت جاهدا منع نفسي
من التزحلق للخلف وحاولت أن أحصر عدد اللواتي خنني .
فشلت ، ولما انحسرت بين مياه المجاري في شارعنا ،
وركن الزبالة المقلوب جانبا .
تذكرت أن باب حجرتي لا يزال مفتوحا وأنني لم أنتبه لذلك .

٢- الآن بالذات .... وبالذات الآن يجب أن أقرر شيئا له ذلك المعني وانتهي من موتي البطيء داخل لعبة وقحة بحجرة قديمة في بيت عفن أو جلوسي المستحيل فوق كرسي قديم في مقهى أكثر قدما من الفراعنة .

كل يوم يمر ألف عام من الوقاحة والندالة والكلمات البذيئة التي ترجرج الوجع في رأسي والالتهاب في الفك السفلي ،

ومكان الزائدة الدودية ، والإعياء الشديد في العينين

من قلق شديد في الدماغ .

والملابس الأكثر قذارة من تراب شارع متسخ

في حارة شعبية كل ذلك له ما يبرره

أما عن العرق الذي تناغم وتراقص فوق الحاجبين

وفجأة سقط علي الجفن واليد الممدودة المشدودة

المتربة بغبار خفيف حولته لطين لازجا .

حيث كان يتعين علي أن أقذف بنفسي في البحر ،

وأن أكون لا أعرف العوم .

أدهشني أحيانا اطمئناني لإمكانية فعلتي هذه ،

وأدهشني أكثر تحملي لكل الذي أنا فيه دون أن أصرخ، ولست علي استعداد لان أشعر بأي شيء ، وكنت أعتبر أن الأمر أقل أهمية مما ينبغي

وأنه أقل أهمية مما يتخيل أي واحد .سحبت خطوتي الواهنة ومشيت . علي الجدار القريب .استندت ولما مللت النظرات المستريبة إلي .

كنت أقف تماما في منتصف الحجرة المدهونة بالجير الأبيض ويدي في منتصف جسدي . أدهشني أكثر أن جريدة أمس وأول أمس وأول أول أمس وغدا علي الأرض والغطاء ، انسحبت بأصابعي المرتخية فوق جسدي المنهوك المتناوم في إيقاع ممل .

حيث حاولت أن أتحمل الناموس الذي يزن في أذني أثناء النوم .

وحاولت أن أتحمل قلقي وعصبيتي وأن أتذكر شيئا سعيدا .

قمت بتكيف بعض الأمور علي نحو مريح وتنهدت بصعوبة بالغة .
خرج الزفير محتدا ورافضا لكل ما فعلت بنفسي أخيرا رفعت البطانية لأعلي وارتدت واقفا أمام السرير.فتحت الشباك المواجه لرأسي تماما ،
مظلما كان وجه البيوت والمساحة الخالية الغارقة في ظلام دامس تريح النظر.
والكلام الذي يدور في حلقي فارغا من وجهة نظري علي الأقل .
لأخر مرة حاولت النظر من الشباك ، ولأخر مرة حاولت إسكات هذا الذي يرتجف في داخلي ،
بشجن المساءان الحزينة ، تواصلت سطور من كلام ناعس .
قلت أن الشتاء أجمل بكثير من الصيف ، وقلت أن النهار أطول بكثير من الليل .
وقلت أن المسافة بين الذي كان والذي سيكون والذي كنته والذي سأكنه لم أقدرها بعد.
كان كل ما في رأسي متلخبطا ومرتعشا فحدثت نفسي بصوت مرتفع
اللهم نويت الوضوء ، تساقط الماء علي الوجه فالكوعين فأصابع القدمين .
اللهم اجعلنا من أهل الجنة .
بسم الله الرحمن الرحيم . عليك أن تتنفس أنفاس طويلة وعميقة ثم تسترخي تماما .
أما عن النصيحة اليابانية التي تأمرك أن تدلك جسمك في حالات القلق فهي كاذبة .
إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم .
وكتب الشعر لا فائدة منها سوي غموض كل شيء .
سمع الله لمن حمده ، والمسكنات والمهدئات أصبحت عكسية وأصابتني بالرعب .
الله أكبر التحيات لله والصلوات والطيبات اللهم بارك علي محمد وعلي آل محمد ،والقلق والاضطراب والتوتر والإنهاك والارتباك والرجفة والرعشة والحيرة والزهقان .

كل هؤلاء في معني لا أعرفه وحكمة أجهلها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (يمينا)والسلام عليكم ورحمة الله (يسارا).

والذي حدث بعد ذلك أنني مشيت للشارع الخالي بمفردي وغنيت أغنية قديمة .

التواطؤ الذي حصل بين الرقص والصلاة

أمام الباب اصلحت القميص من الخلف ، ضممت الدلفتين فاعتدلا ودكا الهواء للداخل وعندما مشيت لاحظت ان القميص لم يكن متناسقا فوقفت بمنتصف عرض الشارع واصلحته بوقاحة شبه باردة . اسعدني ان احدا لم ير فعلتي هذه . ومشيت في الاتجاه الغامض سالت الشمس والمطر والسماء والنجوم والشجر ومحترفي الطاولة ورواد المقاهي عن سر جلوسهم المستمر او وجودهم الدائم ، وحين لم اجد اجابة ، مشيت . لكنما طاردتني صورتي في مرايا الفتارين الزجاجية . عاودت أصلاح القميص من الخلف وايقنت أن الحظ عاسر وحين احتوتني صرخة الشوارع وابواق السيارات ، وقفت الميادين قدام عيني ، قدامها .

انبهرت اول الامر وامسكت نفسي من الأنفجار.

حيث كان جسدي الذي يضيق بي واضيق به ياعن الرفض ويتملص مني فاشده بالعافية ، لملمت الاشياء الصغيررة في عقلي لملمتها . وحبستها في الكهف الانساني لانسانيتي . كنت لا ازال راغبا في انعاش روحي المهدودة والتي تتسكع علي هواها ، لم اكن أملك احساسا بالاستمرار في عمل أي شيء . باللهفة الحائرة دخلت لكل الازقة الضيقة التي لا اعرفها .

قابلني بعض الحصي علي الارضية فركلته مستفزا . حيث تهت في الحواري الكثيرة ومن زقاق لبراح ، لمنعطف ، لحارة . لمحطة جانبية ..

وفي النهاية قدم علي قدم في مقهي قديم ، ائتنست بهاجس الناس القابضين علي التراب ، ولما اخرجت السيجارة اليتيمة من الجيب الامامي وتلذذت بطعمها ارتفع دخان كثيف والتف حولي .

كنت قد مددت عيني الي اخر الشوف وشوفت فيما يشوف النائم كان ولد العين الذي هو ولد يروح لولد العين في الانثي التي تقف في موقف الباص .

وقلت لنفسي انها تلك التي رمت في وجهي الدبلة وقالت كلمات باردة وساذجة وذكرتني بايام عابثة عشتها معها ،وندمها علي كل لحظة . أكدت لنفسي انها هي بشحمها ولحمها وعذوبتها الصافية خرج اليها ولد عيني سريعا ومنشحا ولكن ، لما لم يطلع ولد عينها لاستقبال ولد عيني ، عاد الولد مهزوما ومنكسرا سقط بين الجفنين فارخيتهما قليلا عليه ، ثم أقفلتهما عليه عنوة وقلت أنه شقي وعفريت حيث تغرغر في مياه العين المالحة وسكن فاترا ، قلت له محتدا ، استكن واستبح لنفسك الكرامة ، يا ايها الشقي لك الحزن لحظتئذا ..

ولم ادع للدموع التي تراقصت فرصة الاقتراب من الرموش ، هو المدير أي الرئيس ، وأنا كنت منحشرا بين انياب نفسي من الكلام الذي قاله المدير وحين قلت الكلام الذي يجيء لراسي رأسا ومن دون أن أنتبه ، ومن غير أن امسكه .

الكلام .....

أنتهيت لا لشيء الا انني مفزوع . ثم أن الوجع الذي في قلبي هو نفسه الوجع الذي في معدتي ومن وضع قلبي مكان عيني .

قال لي : انت غبي يا استاذ .

فشكرت سيادته وقلت أنني حاولت ان اشرح . فقط وجهة نظري في الموضوع ولا يهمني غير ان اعبر عن رايي ، سواء كان مقبولا او مرفوضا .

قال لي : انت سيء بدرجة ما .

فشكرت سيادته للمرة العشرين \ قلت انني أتكلم بصراحة ولا أخاف احدا .

قال لي : انني لا افهم شيئا .

وشكرت سيدته للمرة المائة وقلت ....

وقاطعني بكلمات لم استطع كتابتها ، ونظر علي كل ملابسي ، دار حول مكتبه محولي اكثر من مرة قلت انني لا احب هذا ، وتنهدت بصعوبة شديدة وتلفت عليه يمينا ويسارا مرة او مرتين ، وقلت انني احترم سيادته واشكر له كل ما قاله .

خرجت وأخذت الباب في يدي كما أمر . كانت الطرقة واسعة وطويلة ناديت في سري ولعنت الزمن الخرب الذي نعيش فيه ، كانت الطرقة طويلة والمكتب في نهاية الممر وانا اسير بجوار الحائط \

الحائط هو الذي كان يسير لجواري ، نظرت في الساعة . اعدت اكتشاف انها معطلة فاندهشت لهذا العطل ، هبط الصدر ارتفاعا وانخفاضا ورأسي ساخنا وجسدي ساخنا ،وكل شيء كان ساخنا والبلاط المزفلت كان باردا ، هززت الساعة في يدي . وتلمست اطراف موضوعات (هو الغبي ولا يفهم شيئا) .

الممر طويل . نعم كان الممر طويل وليس به أحد والمكتب في نهاية الممر وقرار الفصل تعسفي ، وهي كانت تقف في مواجهتي تسالني كم الساعة . ولما هززتها في يدي ابتسمت \ انزاحت من امامي .

وانا الذي انزحت من أمامها ومضت ، كان كعب حذائها يرن تك ، تك ، ثم تك . تك . تك . تك . كنت أنا واقفا علي باب الخروج وكانت هي تدخل الي مكتبه الذي في نهاية الممر .

استندت علي الباب ،كانت تنظر علي وفوق شفتيها ابتسامة انثوية ماكرة بعد ايام واسابيع او سنين .

بدلت جلستي هذه من مقهي الي مقهي ، ومن شارع الي شارع ، ومن شرب الشاي الي شرب القهوة او الحلبة ، وثبت جدليه هذا الكون في راسي المنهوك وعلي واجهات العمارات وراحت عيني تجوب ، فلم المح شيئا مهما .

سالت صاحب المطعم ان يطعمني بفلوسي الممدودة له في رجاء .

كان الرجل يعمل دونما نظر ناحية أي واحد من الواقفين .

اسندت راسي فوق الدرابزين الأمامي ، ووشوشات وابور الجاز تمنح لحظة من ليالي الشتاء التي مضت .

امام الباب ، وقفت . تحسست جيبي الخلفي ، حمدت الله علي وجود المحفظة في مكمنها الناعم ، استغرقت دهشتي دقيقة او يزيد قليلا .

وانا اتابع خروج الصرصا البدائي من عشه الذي ينام فيه طوال النهار حيث يخرج ليتمشي أو يشم الهواء ، فلا يجد ناس ولا هواء فيعود حيث في براح العلاقة بين ما أكله وما يأكله هو بعدي من فتات .

اخذت اجرب طرقا كثيرة ، ولكنياثناء ذلك ، تركته يسير في هدوء حيث يتجه ناحيتي مطمئنا امانا هادئا ، ثم دست علي راسه ،

" المتفجر بشراسة البني ادميين " حين تحين فرصة الانقضاض .

ركلته جانبا في الطرقة الخالية ، اقشعر بدني ثانية او يزيد قليلا ، بعدها عدت لما كنت عليه من اداء الطقوس ، في تناول الطعام .

السيدة الجميلة

فهمي عبده سرور..

إنسان منضغط، محشور في العالم، ثمين وفظ...

ذات عصر جاءني لاهثًا،

زامت الدنيا وتكدر الهواء، تثاءب الليل وانزوى المتسكعين في قهوة أبو المعاطى...

تجهم وجهه لحظة، لحظة قبل أن ينطق: أريدك حالًا.

ماذا تريد يا فهمي ؟

صمت الرجل صمته المخزي، تأفف، نفخ في وجهي، وسحب أنفاسًا وارتخي،

رجل شهم آسيان، رأسه تُلَاعِبها مسبحة الأزمنة البعيدة والخرافات، تبقي حكايات جده الذي اندمل من شدة الحزن هي ملاذه الأخير،

قال: أن امرأة الفنجان أجمل من كل الكلام الذي قيل عنها،

سألني مرة أن أشهد أنه هو – نفسه - هو

وقعت على الأوراق. مكان الأسم والمهنة والعنوان وضمنته بضمان محل الإقامة خرج مسرعا من باب قسم الشرطة في تلك الليلة البعيدة.

فهمي عبده سرور... إنسان مشروخ يقيم حواليه الفراغ تلال، يصلى الصلاة في أوقاتها. ويستغفر الله ويتوب، ثم يعود، يدعو... يُحدثني عن سوء أخلاق الجيران، وأحوال الجيران والشتائم التي تقع كل ليلة من الجيران، ثم يهيم بعينين هائمتين، يستغفر الله في ورع ويعزم النية والقلب على دوام حب الله والإخلاص،

حين يخرج من صمته المُعتاد يلعن أبو إبراهيم الجزار وعاشور ساعي البريد، وإسماعيل بائع الجاز، يلعن المواصلات وسيفون بيته القديم...

أبقيه أنا في جُعبة أفكاري الشاردة دوما، ربما رأيته، إنسان موجُوع بما يكفى، يسقط في الزحام كأحد الشهداء ومقاتلي الحروب العظمى،

لكنه وفى أثناء مرور الحياة بشكلها الطبيعي أمام عينيه وبعد سطور قليلة من هذا البدء يقوم بمغامرة فريدة..

إذ أنه وفي أثناء مراسم الجنازة التي خرجت لتوها من الجامع الكبير،

همس في أذني

- أريدك حالًا

- ماذا تريد يا فهمي ؟

-بخجل نظر إلىّ .. و احّمر...

كانت البيوت تزوم زوم الكلاب في الحواري، تدور عيناه الحمراوان الشاردتان في كل الأماكن،

يده التي تقبض على أصابعي بجزع، أشرت عليه وهدأته وأقعدته لجواري

قال : اسمع

ماذا هناك يا فهمي ؟

اعتدل ثم تكرمش واضعًا يديه بين قدميه ومال علىّ

- قال... اسمع

- نعم

كان المساء يقترب لما أرسلت إلىّ.. لم أذهب

عادت وأرسلت، ولم أذهب ولكنها ألحت،

ترددت أول الأمر – غير أنى ..... فذهبت

رأيتها واقفة ...هي نفسها تضحك ضحكة صافية تدخل القلب

ظل الهواء يخبط الأبواب يغلق النوافذ، الدنيا كانت برد،

الخلق في بيوتهم كانوا يغطون في نوم عميق، الغيم في منتصف السماء،

رأيتها.. نعم رأيتها ، كانت ليلة باردة بلا قمر ولا نجوم،

في بيتي العفن كنت بلا ضحكة ولا ونيس،

أجلس وجلدي المتكرمش على سريري وحدنا ، ولم أنم، ولم أذهب، حاصرتني ابتسامتها \ كانت ابتسامة طويلة ممطوطة، تخلع القلب، كلما تذكرتها ترن في إذني،

لما لجواري أسندت رأسها. يدها جسدها ..و.. نظرت إلىَّ بعينين هائمتين

أبو إسماعيل نادى على الصلاة ولم أذهب.

هي أرسلت إلىّ ولم أذهب،

الجيران يتشاجرون ولم أذهب،

كزوم الكلاب تزوم البيوت وتهز ذيلها، المساء يغوص في العتمة، الدنيا كانت برد،

نعم رأيتها .. وأنفاسها حارقة ودافئة، ورائحتها شهية،

رهبة ودفئ أحسسته يختلط بطين شوارع البلد ..

كانت تصرخ في أنحائي وشعرها يتهدل أمامي، شفتاها وحزني يتحدان، يسكن قلبي ملئ يديها، والحبة في صدرها انتفخت وبانت، عيونها احَّمرت وسالت وجعًا، حروفها تطلع آهة لاذعة، ملابسها شبه عارية، وهي واقفة أمامي،

أنا لم اذهب

غير أنى ..أسفل زواياها وقعت...

تحت إبطها أذوب واحدا أخر ...

من تحت شباكها مضيت، طرحت نفسي أرضا وجوا، وماء وسماء

تعلقت فوق المواسير، صعدت نحو شباكها،

كأن البلد رأتني،

كنت أقفز من عندها، غير أني اعتدلت في مشيتي وضعت رأسي في الأرض ومشيت، وكذبت على نفسي، فأنا لم اذهب،

سمعت صوت الصلاة ...ولم أذهب،

أخذني الدفء والوجع والظلال والمساء والدنيا كانت برد،

كنت أقذفني من عليها، من فوق شباكها العالي قفزت في الشارع

أنا لم أذهب،

فقط كنت أسيل إليها، أزحف كزحف الخطى في الممرات، كزحف صوتها في أعماقي

فهل ترى ؟

كما قلت لك، لم اذهب، رأيتني عندها فقط،

نعم كنت عندها وحدي

فهل تري ؟

ثلاثة أيام و ذهني شارد ولم أذق النوم ولا الأكل، ولا شئ،

المرأة كانت فرحانة وقالت لي بفرح: يا فهمي تعالى

كنا بمفردنا في حجرة ضيقة ولم أر في عمري لحم هائج ، أعترف أنى أردتها نعم أوقفني صوت الأذان ،لكنى أكملت الأنفاس العرق ، واللهاث، والبكاء

قفزت في الليل التالي اليقظ، تذكرت عرى فخذها... هربت، عرفت لون عيونها، جريت . سمعت صوت ضحكتها الممطوطة الطويلة فمشيت ،

رحت للجامع الكبير وصليت الفجر ولكني لم أنم،

ثلاثة أيام لا يفارقني وجهها وحروفها تخرج لاذعة جارحة

و الدنيا كانت برد. وأنا لم أذهب،

أنا فهمي عبده سرور

.....

" ملاحظة

المحزن أنه وبعد أيام قليلة مرت وهو يقاوم عدم النوم وولعه الشديد وهيامه المستمر ....

وعند شباك السيدة الجميلة رأيته، يحاول التسلق للنافذة مُستخدما المواسير

وعندما رأنى...

قال بخجلِ : أريدك حالًا

ماذا تريد يا فهمي ؟

فصول متناثرة من حياة صديق بليد

الفصل الأول :

السلالم

كانت المشكلة تتلخص في أن حياة هذا الرجل بطل قصتي هذه ، تكمن في متابعته لاكثر من ١٠٠ تلميذ طوال سنة دراسية كاملة ، تبدأ في الصباح المرتعش مع طبق الفول المدمس وصياح اليوك وارتباكات الكلام السريع وهو يقف أمام الأولاد في الفصل وهم يرغون .

أسكت يا ولد أنت وهو ، يلعن...

كان لحظتها يكتب التاريخ والسنة وكلمة واحدة، ويقف في انتظار المفتش مراجعة اليوم .

السؤال الاول : احمد عرابي قائد الثورة ..... وسعد زغلول قائد الثورة .....

أنا يا استاذ . انا يا استاذ . انا يا أستا .

" بس " كل واحد يرفع صباعه علي الدرج ، اللي في اخر الركن "

احمد عرابي قائدد الثورة العرابية وسعد زغلول قائد الثورة الزغلولية .

افتح ايدك ...

أي . أي . أي .

سعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩ .

السؤال الثاني : معركة مرج دابق كانت بين.... بقيادة .... والمماليك بقيادة .... وانتصر فيها ....

انا يا استاذ .....

قل .

معركة مرج دابق كانت بين العثمانيين بقيادة سليم الاول والمماليك بقيادة طومان باي وانتصر فيها الانجليز في النهاية .

انتظر الرجل كثيرا ، نظر الي عقارب الساعة ، تابع كل ثانية تمر. كان الاولاد في حالة زهول . حين خلع الاستاذ جزمته ثم وقف علي الكرسي وامسك بجانبي شعره واخذ يشد فيه بكل قوة .

يا غبي أنتصر فيها العثمانيون . وما دخل الانجليز في الموضوع . قفز الأستاذ قفزة واحدة ، ارتدي جزمته علي عجل ووقف .

سكوت .

قيام .

.....

تعظيم سلام .

اهلا يا حضرة المفتش .

كيف احوالك يا أستاذمحمود .

بخير يا استاذ الاساتذة .

تذكر الرجل الدجاج الذي ينقر علي سقف حجرته ، تذكر تلك الدجاجة البرتقالية اللون ، الثمينة والتي لا تستطيع الحركة بسرعة .

ورغم أنه كان يراعي ٢٠ دجاجة او ما يزيد قليلا علي سطح المنزل الذي يسكنه ، أذا كان يتاملهم بنهمشديد ، وينسج حلمه بواحدةمنهم كل يوم يراها نائمة أمامه في تواضع خجول . محمرة ، شهية ، غارقة في سمنتها .

وهو يشمر ساعديه ، يكسر الفخذثم قطعة الصدر فلرقبة فالظهر ، يتلذذ بالطعم ، كان كل حلم يروح فيه لمنتهاه .

اذا كان مجرد ان يفكر في ذلك تصيبه حالة من الانتشاء اللذيذ ، يجري في حلقه الريق جرعة واحدة كبيرة ويبتسم ابتسامة كبيرة وفي عينيه حقد بالغ علي السيدة صاحبة المنزل الثمينة .

كانت تخرج منها الكلمات كأنها محشورة من سنين في جوفها البدين ، ورغم توهمه طوال هذه السنوات في انه سوف ينال في النهاية حتي ولو دجاجة واحدة .

الا أن الذي حدث بعد ذلك لم يكن متوقعا اذ ان الذي كان غير الذي سيكون وغير الذي كان بالضرورة .

حين اكتشفت اللعبة النهائية في ان الذي كان احسن من الذي سيكون فاعاد حساب الايام مرة ثانية ونسي حلمه نهائيا ولعن كل شيء وترك المنزل وصاحبة المنزل والفراخ والفصل والاولاد والمفتش ومحمد علي ومحمد عبده واحمد عرابي ونابليون ، ثم قدم استقالته مسببة بأن الامر لم يعد يعنيه وانه سوف يعمل راقصة في شوارع القاهرة لكبري .

وذلك لانه وفي أثناء سيره وهو عائد من المدرسة ذات ظهيرة غائمة السحاب تبث رائحة المطر المتردد في السقوط .

قال وقتها أنها ستمطر ولكنها لم تفعلها ، صد درجات السلم علي مهل وقال أنها ستمطر ولكنها لم تمطر. فتح باب حجرته ودخل ثم خرج مسرعا وقال أنها ستمطر لكنها عاندته . توقف علي السلالم واخذ يتأمل السنين ، وجزمته تأكد من أنه لم يتوقف من قبل علي السلالم الا مرتين .

مرة عندما كانت هناك خناقة بين جارتين ارتفع فيها شبشب احدهما أمام عينيه تماما وكادت نظارته الطبية تلقي حتفها في ذلك اليوم وناهيك عن الشتائم واللعنات التي سمعها ذكر فيه ما يزيد عن قرن ونصف من " ابو اللي جابوا ابوه واللي خلفوه واللي سواه ، واللي . اما المرة الثانية فكانت عندما ناديت عليه تلك المراة التي تختفي خلف قناع من الشعر الطويل المنكوش بلا أي داعي . . ولكنها تتخلي كثيرا عن انوثتها حيث أعتقدت في البداية انه شخص تعرفه ولما تحققت منه وتأملت الشكل اعتذرت .

وقال ان تركيبة الذقن والفم والجبهة مثل المكوجي تماما وقبل الرجل التشبيه والاعتذار ومضي .

ومع ذلك فقد ضحك الرجل ضحكة عالية كادت تؤدي بحياته الي جحيم لا يعرفه ، ودون ان يتوقف عند أي سلمه من التي كان يصعدها او ينزلها . املا أن يصل .

ولكنه في أثناء الصعود أو الهبوط المرتبك لدرجات السلالم وارتفاع صيحاته الضاحكة المختلطة برزاز كحة عالية . وسعال شديد .

سمع الجيران صوت ارتطام شيء ضخم بالحائط او وقوع شيء ما من أعلي لأسفل وباسترقاء السمع . فوق اكرة الابواب ، سمعوا تدحرج جسم ثقيل علي الارض ، سمعوا تأوهات عالية ، لم يكن في امكان أي أحد منهم المغامرة بالخروج ، لمتابعة ما يحدث .

الغريب أن ذلك الرجل المغامر ظل يتدحرج من الدور العاشر حتي الدور الخامس دون توقف ولا أعرف كيف حدث ، لكنه من المؤكد والضروري أنهحدث ، وانه كان يفع نفسه دفعا .

للتخلص من شيء ما . شيء ظل يرتفع مع صيحات ضحكاته وسعاله ثم امسكته انا من يديه وامام أحد السيارات المسرعة جدا ووضعته ولكنه جري ، جري ، جري . ثم سقط علي الارض دون مبرر حقيقي

الفصل الثاني :

الف وياء

وقال لي ان الألف بداية حروف اهجاية، مضبوط .

مضبوط .

والهاء نهاية حروف الهجاية . صح ؟

قلت صح .

وبما أن الف وياء تعني أن نكتب الألف (ا) والياء (ي) فتصبح

" أي " وهي تعني وجع ما من شيء ما ، وبتصريف قليل وذكاء اقل تستطيع ان تقول وانت تضع في بطنك تلك البطيخة الصيفي التي لا أعرف من اخترعها ، أن الرجل المسمي " سبويه " كان يعرف هذه المسالة .

وان الوجع من الكلام ، من البداية للنهاية من اول حرف لأخر حرف ثم ضحك الرجل ضحكة قصيرة وقطعها بسرعة .

وقال ان يجب ان تعرف أن للانسان قلب وكذلك معدة .

قلت : نعم .

وللانسان مخ ومخيخ .

نعم .

وللانسان بنكرياس وكبد .

كتمت ضحكة في صدري ، واشرت له براسي موافقا .

وله امعاء .

مؤكد الف في المائة . وعنده فلوس.

زمت قيلا واعترضت علي الهاء في (عنده) نظر الي شذرا .

قلت . نعم ، نعم .

ربنا بني الدنيا في ستة ايام .

صحيح .

والاسبوع سبعة ايام .

نعم وفي الشهر خمس اسابيع .

لا ، أو نعم .

وفي كل شهر ٣٢ يوم وعدت صاحب المنزل بدفع الأجرة.

نعم.

انعم الله عليك .كيف توافق يا محترم ، اولا الاسبوع ليس سبعة ايام
سكنت في محاولة لتغيير الموضوع ولكنه أصر ان الاسبوع ستة ايام فقط وشطب يوم الجمعة نهائيا .

ملاحظة :

اعتبر الرجل ان يوم الجمعة يوم راحة .

رغم انه لا راحة الا في الاخرة كما قال .

حيث أن للانسان حواس ، يعرف العالم من خلالها ، ويعرفه العالم نظر الي . فواقفت علي الفور .

اص ايضا ان الحواس هي المرض والجوع والخوف والجهل والحزن علي كل ذلك + حاسة جديدة قالها بفخر وضخم الحروف (الضياع) حيث يصبح مجموع هؤلاء شكل جديد لا اعرفه . (قلت نعم) .

قال أن جمع المؤنث السالم مثل السيدات الفاتنات الجميلات أو المنيلات، اعترضت ورفعت يدي .

واخبرته ان المنيلات هذه موضوع اخر ، قبض علي يدي في الهواء بقوة وقال نحن بصدد تحديد جمع المؤنث السالم ليساالا .....

قلت له حدد كما تريد . ثم وقفت علي قدمي الاثنين منزعجا وشبكت يداي في بعضهما .

وقلت يجب أن تعرف ان ٨ * ١٢ = ٩٦ وليس ٦٩ كما ذكرت وان الجهاز الهضمي في الارنب هو نفسه في الانسان ولا يختلف علي ذلك اثنين وان مناخ مصر حار جاف صيفا، دفيء ممطر شتاء وليس العكس .

ومسالة الفرق بين الضد والعكس ، لست علي يقين منها تمما .

وقلت مستملا كلامي .

ان افكاره هذه لو طرأت علي ذهن اقليدس لاخترع شكل جديد في الهندسة ، افرغ الرجل باقي الزجاجة في فمه ، ثم القاهاعلي الارض .

اذا كان كل فعل له د فعل مساوي له في المقدار ومضاد له في الاتجاه ، فهذا لا مفر منه ، ومن الضروري أننا سنموت جميعا والذي هو ضروري جدا ان تنام أنت أو انام انا .

او تتركني انت أو اتركك انا ، والذي اشعر به الان لا يعرفه سواي ولو عرفه نابليون لغير وجهة نظره كثيرا في غزو مصر ، وما معني أن يكون رد الفعل مساوي وموازي وعمودي علي دماغ احدنا .

والساعة الان الثالثة صباحا والجفون استرخت في هدوء والجسد المنهد ، انهبد علي السرير والزجاجات فارغة والكاس فارغا .

يجب أن تعرف أن اينشتين ليس مخترع النسية ولكنه الذي نادي بنظرية " أصل الأنواع " وأن دارون هذا كان زبالا ، حين قال أن الانسان اصله قرد .

فتعالي كي ننام علي احدي الاشجار في الغابات الاستوائية في جنوب افريقيا .

وانت علي شجرة الصفصاف التي تحب .

وانا علي شجرة الكرز التي أحب .

وتنتظر حتي يطلع النهار لعله يطلع فجاة دون أن ندري .

واحد غيرى اسمه الباشمحضر

أنا يا انسة أعمل محاميا تحت التمرين . أو تحت الصفر ، أو فوق الصفر ، لا يهم ، أعتقد أنك تعرفين ذلك جيدا ، و الرجل الذى أعمل عنده – و ليس معه – يحترمنى جدا و أنا أحتقره جدا ، هل تعرفى لماذا يحترمنى ، أود أن أخبرك ، لانى و باختصار شديد و بطريقة لست أعرف متى تعلمتها ؟ أعطى للباشمحضر خمس جنيهات لانهاء مصالح المكتب ، هل تعرفى الباشمحضر ؟ انه رجل جنتلمان ، رجل

نزيه جدا و فخم جدا ، و متكبر و أنفه فى السماء السابعة ، و لا يقبل أقل من عشرة جنيهات أبدا ، و لكن حين يرفع رأسه ، رغم ذلك . و ينظر على ملابسى ، ثم يقول كلاما ليس قليلا عن الجيران و خواطر الجيران و أحوال أبناء الجيران ، أشكره بأدب جم ، و أكون سعيدا لاننا جيران ، و لاننى أعرفه منذ الصبا ، و هو يحمل شنطته الكبيرة و يتمشى فى الحارة مفتخرا بنفسه . هذا هو الباشمحضر يا انسة ،

و هذا هو عملى ، و مع ذلك فأنا أعذرك ، هل ابتعدتنا عن صمتك هذا قليلا ، قولى . أى شئ

لا تنهظرى الى هكذا .. تكلمى

لا تقولى مرتبى ، مرتبى يا انسة لا يكفى ثمنا لغذاء بسيط فى هذا المكان الذى نضطر للجلوس فيه ، حتى تمنحينى قليلا من جمال عينيك ، و كلمة أو كلمتين أتذكرهما عند النوم ، أو تلمس يدى أطراف أصابعك الباردة ، و تنظرين الى باسمة ، لا يا انسة أعرف أن هذا كلام معاد .... لا تعترضى .... اسمعينى للنهاية ، انهم ستون جنيها مصريا لا غير ، تضيع هباءمنثورا ، منثورا ، مرات ، و مرات ، فى المواصلات بين قريتى المظلمة الدافئة التى أنام فيها فى المساء ، و بين مدينتك الباهتة الشاحبة ، حين أجوب شوارعها نهارا ،

ستون جنيها غير كافية لسد رمقى طوال الشهر ، أنت تعرفين أننى أريد أن أتزوجك حالا ،

و أننى شغوف جدا لملامسة جسدك هذا الطرى ... لا تدارى ابتسامتك ، ابتسمى كما تشائين ،

هذا سيكون طبيعى جدا بعد زواجنا ، اننى أحلم كثيرا بمناوشة واحدة مثلك فى حجرة دافئة هادئة ، معدة من أجلنا أساسا ... اضحكى ، لا يهمك يا انسة كلنا نضحك و كلنا نبكى ،

لا فرق بين الضحك و البكاء ، ماذا ؟

أبوك .

و مالى أنا و مال أبوك ، فليروح ليتزوج واحدة غير أمك ،

. . . . . .

لا تغضبى يا انسة لا أقصد تماما كل ما قلت ، أنت جرحتنى ألف مرة من قبل ، و أنت العارفة بالحال و المحال ،

و الواثقة مائة فى المائة أننى أحبك ، و أننى أرعاك داخلى زهرة وحيدة فى حياتى كلها ، أنت مقتنعة تماما بهذا الكلام الذى قلناه و الذى أصبح بلا معنى مثلى و مثلك لا داعى لان أكرر ما قلته ، ليس هناك ما يستوجب أن نضع كفوفنا على الخدود ونبحلق و نلعن الزمان الاغبر الذى نعيش فيه و نقول كلاما فارغا عن الواقع و الاحوال و أسلوب المعيشة و متوسط الدخل . و المشكلة السكانية ، كل ذلك صار طبيعيا .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

(الفارق الطبقى و القانون الالهى) ، هذه مصطلحات يا انسة ، هل تعرفى ؟ أنا لا أفهم فى القانون بقدر فهمى العميق لعيون الباشمحضر حين ينظر فى الورق ، أعرف تماما ،

كيف يخرج الختم من درج مكتبه ؟ هذا كل ما فى الامر .

. . . . . .

الحل ، لست أدرى يا انسة ، لا أعرف ما هو الحل ، ربما سوف أعرفه فيما بعد ،

. . . . . .

يمر الزمن أو لا يمر و ما ذنبى أنا ، فليأتى المأذون و يشطب كل ما كتب ، و ننسى نحن كل ما سبق . . . . . .

نعم ..... و هو كذلك يا انسة ، هو لك ، أنا لا أحبك و كفى ، واحد غيرى هو الذى كان يقرأ لك الشعر فى الطرقات ، أمام المدرج ، على النجيل ، و حين يلمح فى عينيك انتصاره ، ينتصر ، و يرى بياض العالم ، و يقول حتما سأصل ، هذا الواحد الغيرى كان يدخل لك دونمعرفة ، دون حتى اشارة ، يعرفك و تعرفيه ، كان يمتلك فى قبضته العالم ، انه غيرى تماما ، طيب مثلك ، رائع مثلك ، ليس مخادع و لا انتهازيا ،

كان فى ثم خرج ، أو مات لا يهم ..... انتهينا يا انسة مع السلامة و أرجو أن تدفعى الحساب ، و سوف أرسل لك الورقة عن طريق الباشمحضر ،

ملاحظة :- (تم الطلاق دون اللجوء للبلشمحضر)

أحادية وا حدة لكل واحد

حين ارتديت ملابسي كاملة ، هللت الزغاريد من حولي ، فكانت ابتسامة عريضة للواقفين . احدهم يضع الرتوش الأخيرة علي الكرافتةكنت مخنوقا علي أخري وكنت مندهشا مما يحدث ، ارفع يدي ، ادور حولي .

تزيد الزغاريد . اسحب الكرافتة لتحت لكنهم قالوا شيء لا بد منه . عريس من غير كرافتة يادي الكسوف ، وانكسفت كمت قالوا وكانت المدرسة كل خمس دقائق تقول لي بخنق :

انكسف علي دمك واقعد ساكت . فلا أصبر أكثر من دقيقة ثم أعود للثرثرة . علمتني في ايام الدراسة الاولي أن واحدا نائما لفوق وواحدا واقفا لتحت كعمود النور يبقي اثنين وعد غنمك يا جحا .. قال جحا ..

وقال أبي عند دفع المهر ذلك ، بعدها طلعت الزغاريد كالطلقات بلا حساب ، أشارت بالطباشير وطلبت مني ان اطلع علي السبورة وأكتب وكتبت ثلاث سنات وواحد لتحت يبقي ...

وفي الأيام التي تلت ذلك كانت س+ ص + م = أضلاع المثلث .

هذا ما عرفته وبما أن " ع " وتر في الدائرة والدائرة وتر في العين التي هي حدقة في الاصل ، والدائرة شكل القمر في ليلة اربعة عشر. تساوي تماما دائرة نلف فيها كلنا .

اذن لا مفر من اللف والدوران والجري واللهاث وكلها دوخة حيث النهاية المفزعة هي شراء الدبلة ووضعها في اصبعك اليمين ثم أنك تلف وتدور الف مرة كي تنقلها الدبلة للشمال .

بعد ذلك بسنين عرفت أن كل هذا الكلام فارغ ولا علاقة لنا به ولا لنا به أي علاقة ومهما يكن من امر س ، ص ، م ، ع ، فالدائرة والوتر والدبلة والعين واضلاع المثلث كلها اشكال لا معني لها ، ورموز هستيرية لرجل هستيري . يفكر الأن في ذلك وهو ذاهب كي ياخذ عروسته من اهلها .

عند الدخول سلمت علي الجميع في طابور واحد . انتابتني رغبة عارمة كي اخلع الكرافتة . كانت الابتسامة العريضة لا تفارق فمي .

أصر الشخص الاخير عن تقبيلي عدة مرات وكان قصير فاضطرت للانحناء قليلا .
اصر علي تصليح هندامي فتركته يفعلر ما يريد ، وقدام الاشياء وقفت وراء الاشياء كنت اود الجلوس كي أستريح وواحد *واحد = واحد
والله واحد وانت واحد وانا واحد والخوف واحد والحزن واحد والناس في الاصل واحد ، والنبات واحد والطيور واحد .
سالتها . ابله .. (الفرخة قبل البيضة ولا البيضة قبل الفرخة) ؟
سكنت قليلا ثم امسكت راسي بغيظ وقالت : دماغ زميلكم هذا واحد ولكن لو ضربناه في الحائط يبقي اثنين ، حين أوشكت أن تفعلها .
كنت ساعتها ارتعش ، ورغم ذلك عرفت أن البيضة لم تكن قبل الفرخة وان الفرخة هي التي جاءت في البداية ثم جاء بيض كثيروكتاكيت ملات العالم نقرا وهمسا وصوصوتا وفي راسي زعيقا فارغا بلا معني .
أعتدلت في جلستي بجوار عروستي ، وسالت نفسي اذ كان علي أن ابتسم ام احدثها أم انتبه لضوء الكاميرات والصور ... ولكني ...
رأيت أن من حقي ترك نصف رغبتي في النوم كي تتسلل للعقل اليقظان وعلي متابعة كل شيء ببرود حاد وضحكة عريضة تعتلي سقف فمي .
حيث رايت ان للانسان مخ يفكر به وقدما يمشي بهما ويدان يضرب بهما وعينان يري بهما وشفتان واذنان ورئتان ".
وكان كل ما فيهما واحد نائم لفوق وواحد واقف لتحت ، ففكرت لماذا لا ينتحر الانسان من كل ذلك ، ولماذا لا أقوم الأن من هذا المكان ، دارت الفكرة في راسي فرشت امراة مجهولة الملح والحلوي علي رؤوس الجميع . نظرت الي عروستي باسمة ، ولكني ضممت الشفتين وفتحت الاذنين وشددت نفسا بعمق . كي اعرف المعني أي كاني سوف اعرفه . عندي امل في انني سوف اعرف شيئا جديدا ، كي اضيف ما يستحق ان يضاف .

حين تثاءبت رفعت عيننيها في وجهي ، وفي لسانها كلام فابتسمت خجلا وحاولت أن المس يدها رفعتها بعيدا عن كفي ، نبهتني كثيرا لتثاءبي المستمر في جلستي معها ، ونبهتني لهذه اللحظة بالذات .

لكني كنت قد نسيت .

كنت منشغلا باستعادة وجه حبيبتي المختفي منذ زمان ، للمرة الخمسين حاولت وحين أمعنت النظر ، رأيتها تلك التي كنت أعتبرها نهاية الدنيا . رغم أن حبي لها لم يكن له أي معني .

" وانما أنت وجع ينخر في دمي وعظامي وكل يوم اسال الطير عنك والسلام "

كانت هذه العبارة الأخيرة في خطابي الأخير لها .

اعدت صياغتها مرتين ولم أفلح في تغيرها . بعدها لم ارها ولو مرة واحدة . كنت استميل الأشجار واسير في الشوارع والحارات واسال النهر عنها والحديقة والسماء ولا فائدة .

دقت الطبول وتوهجت الشمعدان وعروسي تحمل فستانها الابيض الواسع وتسير بجواري مرتبكة وانا استعد لوضع تصور لكل ما يمكن أن يتم ،

متي نجلس ؟

متي الثمها ؟

متي احتويها ؟

متي أستدرجها للفخ ؟

كيف ستكون المتعة بعد أن تصبح مفرودة الذراعين علي السرير .

قالوا بصوت مرتفع الف مبروك يا عريس . فاصلحت الكرافتة ومشيت معتدلا ، كان صوتها الرفيع يرن في اذني . قلت لك واحد نائم لفوق وواحد واقف لتحت كعمود النور .. يبقي ؟ يبقي ثلاث سنات وواحد لتحت .

أفتح أيديك أي . أي . أي . أي . ي . ي ، ي

بعد دقائق سنكون انا وزوجتي فردا واحدا في حجرة واحدة . مال علي صديقي وهمس ضاحكا ، أطمأن علي توتري ونصحني باحتساء كاسين .

مالت عليها أمها ونظرت الي باسمة فوضعت وجهي في الأرض وكان الواحد المائل والواحد الواقف يبقي اثنين .

١٩٩٠\٥\٥

تداعيات الذي ادعى أنه و أنى و لكنى أقفلت خشى خوفا منه

عندما تعلمت أن أفك الخط كنت صغيرا و كنت خائفا،كنت تائها ، أسكت الكلام الذى ينتفض ، لكن لسبب لا أعرفه ثار،وبربش الصبح عيونه الناعسة لى و حط يدي على الورق بكلمة ثم جملة

فالكلام قال صاحبي أن له معنى ، فابتسمت و سكت عن الذي يدور فى مخى و حاولت أن أفسر ما حولى و لكنى ....

لما همست لى حبيبتي قائلة أن الجبال ذات اتساع شاهق و ارتفاع عجيب راحت تشرح في أبهة تطوح يدها شمالا و يمينا لفوق و لتحت تتسع عيناها ،يرتفع الحاجبان. تؤكد أن النهر يجرى ليس للأمام و إنما للخلف حسبما أشارت بيدها و أن النجوم صلبت الشمس فى نهار متأخر حين أجبرها الليل على الخفوت و لم تخفت كما اتفق و لكنها فى النهاية تلاشت و تركت ندف السحاب مصبوغة بالحمرة و الناس في هلع و رعب هكذا كانت تقول لي

و لكنى اكتشفت أن شيئا من ذلك لم يحدث فقمت من الفراش منزعجا فى أذنى صراخها الحاد. ارتديت ملابسي كاملة حيث انسابت أصابعالباردة فى الجيوب الخالية من الرعب و من الزمن حتى الملاليم آلتي لم يتبقى شيئا منها لم يتبقى منها شيئا

كنت متناوما و كنت متعجلا أحسب المسافة بين السفينة التى تخيلتها و سفينة نوح و كانت بحساباتي ١٠٨٧٦٣٢١ فخلعت الملابس و كان الرجل الذي حضر يسأل عنى طويلا بشارب كثيف يرتدى بذلة قديمة و يريدني حالا ..حالا ،

-أراد أن يقتحم المنزل لولا.

-لولا ماذا ؟

- لولا أنى وقفت فى وجهه. قلت له أنك غير موجود

- أحسن.

- و لكنه أعطاني هذه الورقة

" الحضور باكر بسرايا النيابة "

وعندما أنحيت أمام وكيل النيابة أجبت على السؤال الذي وجهه إلى استغربت للمسألة فأنا لم ادخل قسم شرطة فحياتى. نسيت الكلام الذي أردت أن أقول كنت متأكدا أنا أنى رأيت الرجل الجالس على يمينه يسجل اجابتى ويبحلق فى ... نعم رأيته منذ زمان الطرابيش يغنى فى الموالد وكان من الممكن أن اسكت أو اصمت أو أنام أو أقول اننى لا اعرف أو لا افهم ولكن ضميري ياسيدى عذبني .

لقد كنت واقفا خلف حاجز خشبي يصد الموج المتراقص فى منتصف الحزن وهو استورد الفراخ الفاسدة والنظرات الفاسدة والدولارات الفاسدة وقال كلاما فاسدا وأنا موظف بسيط قابل للإفساد ولا افهم فى العلاقات العامة ولمك استطع أن أقول شيئا

فعلى الواحد أن يكون فرحان وعلى الواحد أن يحب الرجل الفرحان

قبل أن يأتي الغد ويصنع الحزن ويزف إلينا النشيج المرتعش كنت يا...

لوح الرجل بيده فأمسكت مرة ثانية عن الكلام

هشم وجهي تأوه الرجل قليلا وتنهده

أكدت لنفسي ألف مرة أنى رأيته فى مولد السيدة أو الحسين على وجه التحديد حين اخرج منديلا كبيرا ومسح قارعته ببطيء شديد

ثبت نظرته على فأكملت

كنت يا سيدي فى الدقائق التالية على دخول الفجر لتطمئن الحوائط والمزارع والبيوت والعصافير على وجودها الفذ واطمئن أن على وجودي القلق المرتبك وابدأ فى إغلاق بابي على انثى النائمة فى عيوني منذ خمس سنوات كافية لأن تجعل أمها تمصمص شفتيها وتلعن ميلة البخت وتلعنني

كنت أدعو انثى فى أخر الليل كى تنام لجواري ولو لمرة واحدة

كنت ساعتها أحطم الجبال وافجر الماء فى العيون القاحلة وأمزق ملابسي حزنا عليها عندما تسربت من بين انامل حين اهتزت الكلمات بيننا وتحجرت الرموش و .... و ... و أشار وكيل النيابة للرجل أن يتوقف تماما عن الكتابة وان يشطب كل ما سبق لأنه ليس له دخل بالقضية

قال لي : يا محترم أنت لك ارض ورثتها عن أبيك الذى مات منذ سنين

تقصد أن تقول اندمل مع الصقور الجارحة والوطاويط

آه يا سيدي ....

أبى هذا ملاك تضعه على الجروح.

- المهم يا محترم أن هناك نزاع حول تحديد الملكية

فهل معك ما يثبت ملكيتها ؟

نظر الى الرجل بشغف أكدت لنفسي أنى رأيته يغنى فى المولد عندنا فى البلد من شهرين كانت تتمايل عليه الغزية و كان يلمس وسطها. ابن أل ، و خبط على المكتب بقبضته فارتبكت

و لما فتح الليل عيونه الواسعة لى و أخبرني عن الحكاية القديمة لجدي الثالث و الذى ترك لنا بضع قراريط أيام كانت القراريط براري واسعة لأمثالنا فى قرية مضاءة ببعض كلوبات جاز بين البيوت المتفرقة ، تعيش على حكايات العفاريت التى تخرج فى أنصاف الليالي و العيال تلوك الحواديت فى تداخل صميم

قال أبى زمان : قيراطان لك و واحد لأختك . أوعه تفرط في أرض جدك خليني أموت مستريح البال

- أستريح أنت " بكرة أبنى فيها بيت بدورين و فيه عمدان "

يا بنى الأرض عرض ، إياك تفرط فى مالك قيراطان لك و واحد لأختك رحت حيث جمعت الأوراق القديمة ، غبت فى التراب ساعات طوال و أخيرا احتضنتها و طويتها بعناية شديدة نعم ورقتي قذفت بكل الأوراق الخالية حين نظر للورقة الدبلانة قال أنى صاحب الأرض لا محالة

مشيت ناظرا للاتساع المذهل للسماء و المزارع الخضر و عيون حبيبتي الرمادية و كانت الدنيا كلها تنافسني على هذه الصبية الهيفاء كان كل شئ يتسع يصبح براحا ممتدا سألت عن الطبول و الزغاريد و الحائط كى أخبط رأسي فيه فرحا وغبطة ، أنا الذى صاحب الأرض و أنا الذي سيتزوج الصبية المليحة و أنا الذى .. أنا الملك المالك.

عدت أقلب الموضوع و أحتضن الغيطان و حقول القمح و المواشي و عيونها الرمادية ، حيث كان القمر يتسرب تحت سحاب داكن شحيح و لم يحاول أن يتخلص من أسره و لم يتزحزح من مكانه حسب رؤيتي إلا بعد سنتيمترات لا تكفى لخروج عصفور .. فلم أهتم

في اليوم التالي فتحت لشمسي المكسوفة في نهار طوبة لتدخل تحسست الجرح القديم المندمل في رأسي قلبت السيجارة في يدي مرتين أو ثلاثة .كنت أرتشف الشاي الساخن وأستعد لأحتضن كل شئ فكم مرة طلبت مزامير العالم أن تدخل لبيتي وترقص الثعابين كما رأيتها فى سلة الحاوي .وكم مرة أردت أن تجىء العيال التى تريد أن تعرف المسألة وتشم الحكاية عن يقين وكم قلت كلاما مخزونا من ملايين السنين فى ذاكرتى ثم أننى انزعجت للذى دخل فى رأسى والأفكار القديمة التى راودتني عن نفسها كانت قد جاءتني بثوب للزفاف الجميل وتزوجتنى غصبا فى ليلة مليئة بالمطر والبكاء والنشيج وكان الموضوع كما تعلم ليس له أصل والأشياء التى تسربت الى ذات الموضوع ليست ضمن أصل الحكاية لأن الحدوتة كلها أن جدك لم يترك شيئا ولأن الأصل أن الليل يصبح قصيرا فى أيام الصيف وكالحبل فى أيام الشتاء . هكذا قال لي فسكنت في مقعدي مبتسما وناولني الورقة المنهوكة والمطوية بعناية شديدة وقال كلمات ساذجة وباردة

وقيل أن الدموع التى سقطت كانت بسبب الزلازل التى هزت أرجاء قريتنا الهزيلة وقيل أنها بسبب الصبية الهيفاء التى خطفتها من اهلها وتوحدت معها. وتوحدت في قريتي وانفصلت عن الجرح رغم اتصالى بجروح غريبة قيل لى انها بسبب ازعاج

السلطات عن موضوع لا اصل له وقيل لى انها بسبب الجرى وراء الأوهام والكلام الفارغ وقيل لي انه بسبب وبدون سبب . استدرت للخلف محاذرا ونابتا فى صدرى شوكا ساخنا سكتت الدنيا من حولى وبقيت العيال تلوك الحكايات بأشداقها عن العفاريت التى تطلع فى اخر الليل فى الغيطان وعن الأرض التى انا صاحبها لا محالة فقد كان يؤكد اننى صاحبها ولا أحد غيرى لا محالة.

****

التداعيات الأخيرة

وبعض من الوجع الدائم

ويدي ممسكة بالمجلة القديمة وجسدي مسترخي في هدوء المتعبين علي السرير الذي يهتز كلما تحركت عليه .

فاعتدل الملم أطرافي وأعتدل .

أبحلق في السطور وفي الكلام وأعتدل .

حيث كانت كليوباطرة امرأة عادية أي لم تكن خارقة كما قيل ولم تكن جميلة ولم تكن فاتنة ولم تكن مسيطرة كما حسب البعض وأنا واحد منهم .

الحكاية بكل بساطة أنه لا شيء علي الإطلاق وزوجتي تعيش وهما كبيرا وتطلب مني أن أعيش فيها ولها وبها وأنا أفعل كل ذلك . وأنام أيضا لجوارها ،

أداعبها وأناوشها وأناولها حبوب العصبية غير أن البحث اظهر أن كليوباطرة كانت ذات أنف أفطس وفك سفلي ناتيء ومحيط الجمجمة ٣٥ سم .

والأدهي أنها لم تكن مصرية وإنما إغريقية ، ترفل في الثياب اليونانية هذا ما قاله الباحث يا زوجتي . فهل هذا صحيح ؟

وأين كل هذه الأساطير التي سمعنا ؟

ذهبت مع الرياح .

وما رأيناه علي شاشات التليفزيون ؟

خيال مخرجين .

والمرآة الرشيقة الهادئة . الساحرة ذات العينين الحادتين والنظرة الواثقة الثابتة والشعر الأسود الفحمي المسترسل علي الجبين الذي يضوي كالقمر ، أين كل ذلك ؟

طار في السماء .

بيد أن زوجتي ترفض تأخري المستمر وترفض تقريبا كل أصدقائي وتطلب مني أن نكون أصدقاء .

أنت زوجتي يا مدام ، وخطيبتي قبل أن نتزوج ، وحبيبتي قبل كل ذلك وأم ولدان يا هانم .

أصدقاء .. ما هذا التخريف . أنت زوجة عاقلة . تحب زوجها ولا تغار عليه إلا حسب الظروف .

مضبوط يا هانم .

والمجلة سقطت من يدي والجسد المسترخي انتفض وهاج والعين القرفانة والروح المهدودة من الحزن والوجع سكنت سكونا خملا .

أمسكت المجلة وفردتها أمامي بقرف شديد جعلت اليد بالتحديد الكف لا تحديدا الأصابع أكثر تحديدا أنامل الأصابع تقلب الصفحة .

هناك في الركن .ركن المجلة التي أمامي علي مرمي البصر في امتداد البصر .

المجلة وكليوباطرة والبحث الذي عراها من خيال المؤرخين وذاكرة التاريخ وأنا الملم أطرافي وأعتدل أبحلق في الفراغ في المساحة المضاءة في لمبة النيون ، في تجويف السقف في الأشياء أبص علني أقترب ،

علني المس شيئا .

غير أن زوجتي كانت قد دخلت الحجرة ،هي التي دخلت ، لم تدق الباب لم تقل احم ، ولكنها اقتحمت المكان عنوة.

هي زوجتي ومن حقها أن تدخل في أي وقت وتخرج بعد أن تلقي بعبارة واحدة كافية لإغاظتي ثم أن هذه غرفة نومها ، حجرة نومي ، نومنا . حجرة نوم مشتركة وبعد مباحثات وتباحث استمرت

مالا يقل عن ألف عام من وجهة نظري علي الأقل

هي فتحت خلالها كل الأدراج رفعت الملاءة ودخلت تحت السرير ، هي التي اختفت تحت السرير وتحتي .

تبحث عن شيء ما !!!! هي التي كانت تبحث

وأنا كنت فوق السرير والمجلة في يدي والبحث أمامي وكليوباطرة في دماغي وزوجتي تبحث عن شيء

لا أعرفه ولا أود أن أعرف .

حين رأسها خبط في السرير أنا قلت أه ..

تعاطفت مع رأسها التي انهبدت في الخشب

بكت زوجتي ،

لا لم تبكي

ولكنها كررت الأه ...

ضحكت أنا وكررت الأه .. ومعها يا عيني

هي قالت أه يا دماغي وأنا قلت أه يا عيني .

خرجت زوجتي من تحت السرير مقطبة الجبين وممسكة برأسها وملامح الوجه منحرفة عن وضعها الطبيعي .

كتمت ضحكة في حلقي كادت تخرج منفجرة ولكنها وبعناد طفولي كانت قد صعدت فوق الدولاب تشقلبت مرات بضجر ومرات بقرف ،لخبطت كل الأشياء فوق بعضها ثم قفزت بنفسها علي الأرض

هرشت في شعرها متفكرة ونظرت ناحيتي .

كنت قد جلست منتظرا أعادت نظرتها علي بمرارة ، بأسي

ثم خرجت وأقفلت الباب بعنف حذرت نفسي من الوقوع في الغلط فيها وفي أهلها الذين أحضروها إلي هنا .

ولما اهتز السرير حين اعتدلت عليه حاصرتني الخديعة وخادعتني أحلام اليقظة المستهلكة ووجه كليوباطرة المرسوم بعناية شديدة كان في ذهني يهتز يتقلص

يتوارى وأنا أحاذر. أحاذر ألف مرة من الحذر ولا فائدة والمجلة في يدي والبحث أمامي .

زوجتي تخبط في الأبواب والشبابيك وتتفوه بعبارات غير مسموعة تماما ترغي وتزبد وتلعن أشياء وهمية في رأسها المصاب بكدمة الألواح الخشبية وأنا أستمع في أنة وصبر.

زوجتي تريد أن تكسر رأسي وأنا أريد أن أفقع عينها

لكل منا ميوله العدوانية نحو الأخر.

ولما كنت قدامها قد وقفت وهي قدامي واقفة متنمرة متحدية منفعلة لم أكن املك ساعتها إلا ..

قلت لنفسي انحبس في زنديك وانحبست وحاذرت ، ضقت من رغبتي في ضربها تفلت علي الشيطان الرجيم مرات عديدة ولكنها أصرت هي التي .....

..ثانية ... ثانيتان ..

دقيقة كاملة ترغي وتعرفني واجبي كزوج .

في السماء طارت ،

في الهواء

ارتفعت كفي ،

يدي هي التي .ارتفعت لأعلي

ثم إلي أسفل في اقل من الثانية .

نصف ثانية وكانت أصابعي مستريحة فوق الخد المهتز أمامي في تحدى لأصابعي المشدودة ذلك الخد الأسيل ، الخد الأحمر ...

يابن ال.....

وأصابعي كانت مشدودة مازالت فارتفعت في ثانية لا تزيد وسقطت ..فوق الخد الثاني .....

وأنا قلت كلاما ليس له معني وهي صرخت ولعنت الأيام السوداء والبيضاء وبالتحديد اليوم الذي أحبتني فيه .

سالت الدموع بغزارة وتدحرجت عبر الممرات التي صنعتها أصابعي .

احمرت العيون وكثرت امخطة الأنف .

زوجتي وصلت لحالة لا يمكن السكوت عليها بدأ لسانها يتعود علي أشياء فارغة .

اجلس معها أتحدث ... يا سلام خليني صديقة .. عن ماذا سوف احكي لك ..ها . ها . ها . صديقة .

زوجتي تهزر معي قلت لها ألف مرة أننا أزواج أي زوجان كل منا زوج للأخر وهذا أقرب وأحسن وأروع أيضا .

هي نظرت إلي ولم تقل شيئا .

لم أجد بدا من إن أمسك المجلة بطرا طيف الأصابع وأمدد القدمين حتى تقابل نهاية السرير ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأنا وقعت فريسة القلق والتوتر والارتباك ولا أنا ولا أنت ولا أي مخلوق في هذا العالم يستطيع ان ينقذني مما أنا فيه .

والفعل نفسه القدرة علي أن تفعل هي قدرة والمقدار يوازي الكتلة .

وبدأت تخرف يا عبد السميع

وعيوني التي يود أن تنام مرة واحدة تنام ... حين اختفت دموعها . قبلتها فوق الخد الأسيل المحمر. لكنها ابتعدت وأزاحتني بيدها .

عدت وقبلتها في جبينها سقطت منها دمعتين من كل عين دمعة ثم أنها أجهشت في البكاء .

تركتها قليلا وعدت وقبلتها في رأسها زامت وامتدت شفتيها شبرا للأمام .

فقبلتها فيهما قبلة طويلة حتي أنها دفعتني بيدها

وقالت : حاسب .. لا .

لقيتني علي السرير وجسدي مسترخي في هدوء المتعين ، وحين اهتز السرير لم أعتدل ، كانت المجلة في يدي .

أفقيا مدينة بالمكسيك معكوسة ،آلة نفخ . متشابهان .

ولما تجاوزت كل حدود الممكن في السيطرة علي نفسي بعدما حطمت وجه كليوباطرة المرسوم بعناية شديدة في دماغي .

كسرت كل حدود الود فيما بيننا .

رأسيا – ودود معكوسة – شجر البلح –نصف بيضة .

زوجتي مدت يدها لشعرصدرى بتثاقل شديد وشهقت شهقة طويلة . وخبط علي زندها

وسألتها عن سياسي وأديب إنجليزي قديم .

رفعت نصف عين ونصف حاجب

وقالت : أطفيء النور .

٩\ ٧\ ١٩٨٩ م

السقوط

صعدت متخبطا في أجساد الواقفين في الاتوبيس ، وحين أنحشرت بينهم كنت شاعرا بالرغبة في التقيء .. وصلت للمنتصف بصعوبة بالغة اخذت نفسا ليس عميق تماما ، لكنه مليء برائحة الدخان والعرق وروائح أخري .

ولما رفعت يدي الي أعلي لفلفت أصابعي تماما علي العمود الطولي وتمكنت من وقوفي .

ثبت قدمي في الأرض . وملات مخي فكرة أن أضغط بيدي علي تحت كي نسقط جميعا بقوة . جذبت ، شددت ، تعلقت ، سينكسر العمود ويقع علي الماسكين فيه مثلي والمتعلقين مثلي والمتفرجين مثلي ، امراة بجواري تلعن الزحام والمواصلات والضجيج .

ستصبح حركة الأتوبيس أكثر روعة ونحن نهتز ، نترجرج ، نتدحرج ، نتلخبط علي بعضنا . نسيح .

شددت من قبضتي وجذبت بقوة . بعنف غمزني الرجل بيده وهو يضعها في يده ليخرج العشرة قروش ناولها للكمسري في صمت رتيب لكزني مرة ثانية وهو يضع يده لجواره في سكون .

ازاحه الكمسري بيده ، أصر الرجل أن يظل مكانه . أزاحه الكمسري بكلتا يديه وبدا في رفع جسده ومر بيننا . داس بقوة الغيظ علي حذائي اللامع وهو يخترق الصفوف المرصوصة . نظر الي الرجل شذرا ، تاملته ببراءة حدق في وجهي . تفرس ملامحي ...

واقترب حاجبيه أكثر من اللازم ، احمر وجهه غيظا مكتوما .

قلت : أنه هو الذ داس وليس انا .

شخط الرجل ولعن الزحام والمواصلات والناس وخصوصا أمثالي ، أتجهت كل النظرات نحوي . كنت لا زلت معلقا في العمود الطولي أملا ان اسقطه الأن . و أصابعي ملفوفة بنفس قوتها ولم ترتخ لحظة واحدة .

عاد ولعن الناس والمواصلات والزحام وأمثالي .

وقال الرجل : أنني أتحرك كثيا في اتجاهات كثيرة ، وقال أنني يجب أن أقف في أتجاه واحد وأن يكون الوجه للداخلاو للخارج وقال أنه لم يعد يستطيع أن يقف في مثل هذا الوضع المؤسف .

عادت النظرات واتجهت ناحيتنا .

قلت له في هدوء : أنا لا أتحرك ياسيدي . ولكن الأتوبيس هو الذي ..

عاد وتأمل وجهي بضيق حقيقي وقال كلمات لم أتبينها تماما وادار وجهه للناحية الأخري . بعد أن تفل علي الشيطان الرجيم .

تعلقت باليدين معا في هذه المرة وزاد الحاح الفكرة في راسي .

تمكنت من جذب العمود بعنف نظرت حولي . سيسقط الأن شدت تعلقت .

كانت السيدة تحاول جاهدة أن تباعد بينها وبين العجوز الذي التصق بها التصاقا مروعا ، وينظر في الفراغ .

السيدة تحتمي بالمقاعد وبالرماب والعمود الطولي والكمسري والسائق \ العجوز يصر علي التصاقه المروع ، السيدة تنفخ ، وتضغط وتتاوه في صمت . تتصب عرقا .

والعجوز كان في سن ابي مازال يلتصق ويحدق في الفراغ .

الفكرة تلح علي رأسي فأضغط علي العمود الطولي ، اجذبه فلا يقع .

السيدة تحاول الهروب ، وتلتصق بالمقاعد والركاب وانا أضغط واضغط والعجوز يلتصق والرجل في الجوار ينظر الي شذرا ويلعن الزحام وامثالي والفكرة تلح علي رأسي ولسيدة تحاول الهروب .

صرخت باعلي صوتها المبحوح ...

ارتمت علي قدمي شاب يجلس في وقار...

العجوز مشدوها ومحدقافي الفراغ . الرجل تلفت شمالا ويمينا ثم أمسك بيديه في سترة الكمسري ولعن السائق والناس والمواصلات والزحام ، شددت من فبضتي علي العمود الطولي املا ان يسقط .

تقرير عن الحفل البهيج

سألني ان كنت مريضا أو أشعر [أي الم أو أمال في شيء .

قلت : اني أشعر بألام مبرحة بمنطقة ما برأسي وأملي أن تقبل بحثي . وقلت أن البحثيعني بتطوير الادارة في قطاع الانتاج والمقصود به ...

لوح بيده شمالا ويميناوجنوبا وشرقاوغرباوازرد ثم احمر وانتفخت عروق رقبته علي اخرها ، وخصم خمسة أيام ، هز الورق في يده أكثر من مرة ولوح وعاد للشخط والنطر وتحدث كثيرا عن الالتزام بالمواعيد والالتزام بالدقة .... أقصد التزامات كثيرة لا أذكرها .

وراح ينفث دخان سيجارتهببطء ثم اشاربيده ناحية الباب .

شكرت سيادته علي كل شيء تقريبا ومشيت ، وجسدي الذي صار مأوي للطيور الخائفة والمكتوية بالبرد كي أجري مرتعشا ، الأن هذه الطيور لا تجد لها عش في صدري ذلك البارد جدا المرتعش. الخاوي .

دفست أصابعي في أعصاب رأسي الساخن ، هاجمتني الضفاضع والصقور والنسور والوطاويط وكل الطيور الجوارح هبت علي وناوشتني .

كانت الساعة هي الواحدة صباحا والمذيع يتثاءبوكنا في قلب الشارع والكلاب ملأت الحارة نباحا . وزامت علي روح المرأة التي سمعنا الصراخ عنها قبل دقائق من موجز الانباء .

ومشيت في العتمة . في ذهني قرأة قديمة عن النماذج البشرية التي عاشت قبل الميلاد والتي لها تشريح بيولوجي خاص يختلف قليلا عن البشر الان امام المقابرتماما توقفنا ، أهل المتوفية اصروا علي دفنهافي هذا الوقت المتأخر. لم أعترض، لأنه لا يحق لنا الاعتراض ، قالوا ان حادثة سيارة مسرعة هي السبب.

والمراة ذاتها كانت ترغب في دفنها سرا ، والليل ستار، والمساء ادعي للحزن من أي شيء أخر.

وهاجت رائحة المقابر علي ام انفي فكتمتها . كان وجه الرجل عنيفا وهو يشير لي ناحية الباب سالت نفسي أن كان من حقي أن العن أبوه ام لا ، وكانت الاجابة أنه لا ، ولكن من حقي ان العن الزمن الذي فيه نعيش والالتزام بالخوفوالالتزام بالرعب والالتزام .....

في جانب خال من مقهي قديم امسكت الوطاويط التي تنقر في راسي ، وعرفت أن الوطواط لا يري ولذا فهو يخبط في جدران المخيخ ولكني اعرف أنه يحس، مددت يدي لراسي كانت ام كلثوم وفريد والكحلاوي يغني " لجل النبي " ومطلوب القبض عليهم في قضية مخدرات وقضية اخري لا يصح أن اذكرها .

أفكر ان اشد الكرافتة التي يرتديها المذيع وأصلح له من وضعها ووضع ضالحروف في فمه والكلمات علي لسانه ، وارتب الجمل بين يديه .

اسمعني يا رجل ، سمعت .

ارجوك ، أرجوك انت .

ها أنا استمع الي رجاءك .

كن أكثر صبرا ، وأكثر املا ، واكثر...

جلست علي السرير يا عزيزي وسمعتك ، كان الهواء مندفعا من مراوح السقف يغزوا العالم الصغير الذي يجالس الخرافة في زمن الخرافة .

العثور علي جسد سيدة أجنبية في ثلاجة لحوم ، قرر الطبيب الشرعي وفاتها منذ ثلاث سنوات ، يقال انها امريكية ثم نقلها لمستشفي ام المصريين . وقد ذكر التقرير انها في الخمسين من عمرهاترتدي خلخال في قدمها اليسري ، كما ان هناك ملاحظة غريبة حيث اكتشف البيب ان لها وجه في قفاها كانت تداريه بشعرها الاشقر الطويل . ولذا كان زوجها محمد المهدي المصري الجنسية يصاب بحالة هستيرية وتشنج عصبي لمعرفة زوجته كيف يقبل الخادمة .

حيث انها وقت أن كانت تفتح باب الثلاجةفي عصر ذلك الوم وهي متجهه بظهرها اليه قالت له بلهجة عربية ركيكة " ايب كده يا مهمد " وشك في أنها تعرف الامور التي تدار وراء ظهرها ، فاضطر غير اسف لتأجير شقة مفروشة يزور فيهاالخادمة التي احبها وتي لها بخدمة تخدمها وكان يقبل لخادمة الجديدة في أمان .

حيث لم تكن الخادمة الاولي تراه في ذلك الوضع المؤسف ، لكنه في النهاية ترك كل الخادماتوقتل زوجته ووضعها في ثلاجة اللحوم حيث كان يعمل جزارا ، ولكن رائحتها العفنة خرجت اثناء انقطاع التيار الكهربي لمدة طويلة .

وضعت يدي علي أنفي وسمعتك أكثر من ألف مرة ،والناموسة جاءت تمشي علي استحياءفي خط مستقيم في مواجهتي تماما لم تعبا بعيني التي رصدتها منذ خمس سنوات وهي تفعلها، حين تتحرك ناحيتي وتقف بكل كبرياء وجرأة فوق ارنوبة انفي ، ولم تأبه للفراعنة الذي تنتمي اليهم انفي ولم تسال فيهم جميعا حتي ولو كان رمسيس الاول نفسه .

اذ أنها لدغتني بكل ثقة ومضت معبرة عن قرفها من الطعم والرائحة وأداء الطقوس الفرعونية ، مشمئزة من غرفتي ومن طريقة وضع الكتب والمجلات والورق والكلمات واسمك المكتوب بالخط العريضعلي حائط غرفتي ، وكنت أنوي أن أتزوج ، حيث ان .

هناء متزوجة من محمد منذ اربع سنوات .

هناء تحب محمد منذ عشر سنوات .

مع أن محمد رجل قوي كالثور الا ان هناء هجرته لتعيش مع صديقتها سالي المخنسة في شقة مفروشة لمشاهدة أشرطة الفيديو الممنوعة ، صباح مساء وتركت محمد يعاني الوحدة والكابة بيد أن هناء لم تسعدها سالي كثيرا حين أعلن شجر الموز في ذلك الوقت عن اضراب عام لان الموز الامريكي اطول واكبر وأغلي من الموز المصري .

الجمعة :

الحياة تاخذها هناك بعيدا عن كل شيء ، لا نعرف الي أي شيء ننتمي ، هكذا قال الرجل لزوجته ثم أغلق التليفزيون وتثاءب بصوت مسموع ومضي متأرجحا وهي خلفة حزينة .

الافراج عن تجار السموم البيضاءوالخضراء والحمراء والصفراء والسوداء علي اعتبار انها تمثل روح العصر وتتمشي مع الموضة والاكسسوارات الحريمي الجديدة وتعبر بصدق خالص عن التقاليد والاتيكيت خاصة أن الدنيا تتجه نحو شيء غير واضح علي الاطلاق فلا أحد يعرف علي وجه التحديدمن يريد من من ماذا ؟

في ذلك العصر البمبي او الرمادي او الذي لا لون له حيث لم يستطع احد حتي الأن ان يعطي لونا محددا للعصر. لذا نغفل هذه النقطة ونقرر ان لون العصر.

هي ألوان قوس قزح وما يتفرع عنها .

السبت :

مظاهرة ضخمة تجتاح شوارع الاهرة ، تحتل الكباري العلوية والاذاعة والحدائق العامة والميادين تسد الحواري خاصة شارع الجيش و٢٣ يوليو يحملون لافتات تصور طلعت حرب وفي يده دولار.

تنقر الصراصير في راسيويزن الناموس في أذني وتخبو الضفاضع وتتلاشي ، وثمة حية تنتابني لا أستطيع حصرهاووجه أصفر ممتقعخارجا لتوه من المقابر يجلس امامي في المراة .

تعلن الشرمة الشرقية للتدخين " ايسترن كومباني " رسميا ان مبيعاتها للسجائر في الخمس سنوات الاخيرة كانت ملوثة بالاشعاع الذري .

الاحد :

اصابني اسهال معوي حاد لم استطع معرفة اسبابه .

الاثنين :

انطونيو تزوج مارلين مورنو بمعرفة الكومنولث ، وظهرت السيدة العذراء بكنيسة القديس بطرس ، المذيع لا زال يتثاءبوالسيد حسن يغازل موخرة السيدة الوقورةفي الشارع دون حياء ، والمطر يتساقط علي أحد الواجهات الكبيرة ، والشارع كان خاليا تماما وارسطو يناقش هيجل في المسالة التحتية تاركين كل شيء لامراة ترتدي البكيني وتغازل الرجال بوقاحة .

انكسر العقل والمعدة والبنكرياس وارتفعت صيحات الزائدة الدودية وانشرخت تفاصيلي والتفت اعمدة الكهرباء في مثلثات متداخلة وسقط طنين في أذني . لثلاثة ايام باقية في الاسبوع .

١٩٩٢\٣\٩

مسابقة الظل

١- المتسابقان : كنت ممدا فوق السرير اقرأ بتمعن وكنت مستمتعا بالقراءة مشدودا للبطل وللضجيج الذي بالخارج مشدودا لصوت العراك بين أمراتين في الدور الأرضي . كان الذباب يحط علي فأهش وأقرفص القدمين .

أشدهم منكبا علي البطل في موقفه الصعب . امسك راسي

كان الذباب يجيء كثيرا ويلتف ويقف فوق اليدين واصابع القدمين وأطوي الكتاب علي اصبع يدي واهش بضيق والجو كان حارا .

. عند الصفح رقم ٨٣ توقفت وتوقف البطل الذي كنت أضيق به وبالذباب ، وضعت القلم مكان الأصبع نظرت للسقف . الذباب كان كثيرا عدت أمسكت بالبطل وهو يودع حبيبته وكان يقبلهاوكان الذباب يطير فوق راسي ويحط علي الرقبة النصف عارية فأهش .

وضعت القلم مكان الاصبع نظرت للسقف وكان الذباب مكتوما وهو ما زال يقبلها . أمسكت الفوطة اضرب الهواء أفتح الباب علي اخره وهو يطير في الاركان وأنا اطير وراءه في الاركان يقف فوق اللوحة الخشبية فاضربه تسقط اللوحة فوق الصور . كنت مغتاظا وأضرب بعنف . وكان يأتي عند عيوني فأضرب نفسي وأفتح الباب علي أخره كان متمسكا أن اظل .

البطل كان عنيدا وكنت متمسكا أن يخرج الذباب صمم أن يبقي متعلقا بالسقف وصممت ان اضرب السقف .

توقف البطل عن الحديث سمعت البطلة صوت ارتطام رأسي بالارض والقلم كان في يديوالبطل يجري وراء الذباب والبطلة كانت تبكي وانا ساقط في الحجرة وحدي .

٢- أرض السباق :

شددت قدمي الي بعضها خوفا علي الجزمة اللامعة ، دفعت للرجل خمسة وعشرون قؤشا كاملة في هدوء وثقة سحبت قدمي للوراء كنت جالسا وكان هو واقفا ، زحف وراء قدمي بقدمه كان ضخما وهو منحني في السيارة الميكروباص .

مرةاخري يدوس فوق الجزمة انزعجت . تبرمت ، طلبت منه ان يأدب ان ينزاح قليلا " هروح فين " وداس .

دورت براسي شمالا ويمينا ولم انبس بكلمة هذه المرة " تعودت ان أمسك الأفكار في راسي واناقشها " هذا الرجل مصمم أن يدوس رفع قدميه قليلا . جربت الأ انسحب وأهاجم بشراسة مددت القدم اليمني لامست جزمته ودست بقوة فوقها متعمدا لكنه لم يقل شيئا لم يكلف نفسه ويلتف .

دست اكثر قوة حين جاءت المحطة الاولينزل . تنفست بارتياح ، في نفس اللحظة صعد اخر واتخذ مكانه حاولت أن امدد القدمين زحف ناحيتي وبدات الرحلة يدوس هو واتراجع انا ثم أدوس أنا ويسكت هو والرجل كان يحمل الصندوق الخشبي ينظر الي متنمرا بعدما انتهي من تلميعها ناولت له النقود بحرص ومضي

يخبط علي الدرج داس علي الجزمة شخط فيه زحف للامام عندما انحرفت السيارة عاد للوضع الاول . داس ضاغطا ، نفخت الهواء بضيق وعندما زاد الضغط قلت بحدة :

حاسب يا استاذ :" وانا اعملك أيه " .

حلم مرهق و قديم

؟

.....

؟

(كلام)

وحروف.. اشتعال.. ضجيج.. و زعيق

بورتريه.....سكوت.ت ..... إضاءة

- ها .... نبدأ

(المنظر الخلفي)

لوحة كبيرة مرسوم عليها النيل والنخيل وفيل وذل ذليل،

أخرج المخرج يده من جيبه و أشار على ركن المسرح جرى الممثلون جميعا

نظر المخرج على اللوحة الجانبية، هرع عليها الممثلون جميعا

ضرب المخرج يدا بيد وأعلن انتهاء البروفة والوقت وخشب المسرح، حملت حملي وحلمي، مضيت محترسا مروري، عندما تركت للسير رجلي.. نظرت في الأفق الممتد في استرخاء وعذوبة. كانت عيون المخرج تتابعني.شاهدت مستعذبا /متتبعا انسحاب الشمس للنيل في شارع الكورنيش رأيت بعيني للأرض رائحة غريبة، للأشياء رائحة أغرب.

صوت الكورال..... النيل أقُنوم الأزل.

٢-يستفزني صمتك الموحش بينما انشطر في تعاريج الأرض، ألهث متعبا من حملي. مرغم على حملي، تاركا حبات العرق تسيل. تسيل. تسيل إلى حيث جسدي الساخن. أهدهد عقلي المشتعل بالضجيج- فهل يرضيك ؟ ما أنا فيه. لعلى وأنا أحترس مروري وسط السيارات.أفق أو ألمح وجه المخرج المنحرف التعاريج فأشهده مشهدا من هاملت.

- ما الدنيا إلا مسرح كبير. أطفئوا الأنوار.

هل رأيت ؟ لعلك تحن كما تحن الأشجار للماء و للنسيم

لأنه لما شبعت نظراتي من النهر مليا عدت وتمليته وتملاني، أصلحت من وضع المجلات في حضني ومن وضع السيارات أمامي، عبرت الطريق غير خائف

صوت الكورال " النيل يجافني وأجافيه وأملأ جفني من شعاع جفاه الجفا فاكتفى بجفاء جفاى " الوجوه كانت تدهسني، أدهسها لنبقى محبوسين في لعبة الدهس.بداية كنت لازلت محتفظا بهذا القدر الكبير من توازني ومن الكتب \ المجلات التي أحفظ عناوينها عندما يهل كل شهر أعود لنفس المكان. أشترى وأدفع، أحمل وأمضى وأقرا \أجدني قبل نهاية الشهر بقليل قد نسيت، يذكرني الرجل..فأفعل نفسا ما فعلت. هكذا يصعد داخلي شارع الكورنيش بنفس ذلك

الجنون الذي أحس كانت الأبراج العالية تميل على بعضها، أعمدة الكهرباء تهتز، لافتات المرور تجتازها عيوني دونما أي شئ، تعودت على إعلانات السينما كي تدخلني بروعة أبدية وعلى حبس دمى المحبوس من زمن في زمني، تعودت الحارة، الأولاد،الكرة الشراب،صوت آذان الفجر وأبوك السقا مات، بائع الترمس يسير وحيدا، صاحب محل الكشري المبتسم في شارع عرضه نصف متر وطوله ٥٠ ألف متر، انحشرت في مدخله وتمنيت أن أظل هكذا ..

هكذا يحتك القميص بالأبنية الأسمنتية.تهتز الكتب،المجلات \ الصور والكلمات تسقط، الحروف، حرفا/ حرفا،العناوين تقع ألملمها فتقع منى على الإسفلت ترتجف الكتب فوق يدي يتساقط الاسمنت الهش أمامي.فأصف الوقت /الناس/ العربات وحركتي، شكل المخرج المحزن والممثلين المكتئبون

أخرج صافعا الباب بيدي لأصير حرا طليقا...

حين حط من السماء طائرا كنت شاهدته وهو يلقف السمكة من النيل يخرج مسرعا للفضاء رفرف في اتجاه الشمس التي تدلت عنقودية في مربع خرافي من سحاب كثيف. كثيف.كثيف. وانزوت...

٣-مسحت بقايا العرق المتساقط على جبهتي وأنا محترسا في مروري وفي حيرتي ضحكت بصوت عال ضحكت، الكتب اهتزت تأرجحت على صدري وأغلب الظن أنها قد سقطت على الأرض.تطايرت الأوراق ملأت المكان، المجلات عندما ابتسمت لي، جرت في الشارع و لم أجر ورائها....هلل رجل عجوز في وجهي و سألني ؟

وقفت امرأة نحيلة أمام رأسي.وصرخت بشدة .....رخ رخ رخ

مد يده أفندي ذو شارب كثيف ونظارة طبية إلى قميصي منتزعا الأزرار بعنف ومضى...

توقفت سيارة فارهة قبل أن تلمس فخذي تماما نزل سائقها،فتح الباب الخلفي ثم انحنى بهمة سقط منها رجلا أرستقراطيا حدثني بكلمات مقتضية سريعة قصيرة متأففا من الشكل وملابسي الرثة...أوراق المجلات تطايرت في الفضاء دخلت الأزقة والحارات، ملئت شارعنا والشوارع المتفرعة منه أو عنه ثم اجتاحت الزمالك وجاردن سيتي \ العباسية \ شبرا، مصر الجديدة \ المرج \عابدين و.و.و.ولا يمكنني أن أظل واقفا هكذا.. أصرخ حتى نهاية عمري.هكذا أخبرني العجوز الذي صرخ في وجهي ولعن أيامي وزماني وأصلى وجدي وأبى وأسرتي جميعا.ثم ربت على كتفي وهزني بيديه مرتين أو ثلاثة متعاطفا مع موقفي

المرأة النحيلة بكت.مدت يدها بعشرة قروش إليّ فأطبقت أصابعي عليهم لما اختفت الشمس من خجلي وحزنها، رفعت المرأة يدها الثانية فوق وجنتي وصفعتني \

قالت أنني قليل الأدب لأن أعصاب أصابعي امتدت لمكان غير مألوفا بالنسبة لها

شرحت لها ظروف الموقف والمكان وتحاشرنا معا.

هكذا.. أتى رجلا وأخرج كارنيه أبيض دكه أمام عيني مُعلنا على ملء من الناس المتجمعين أنه زوجها وأنه تزوجها في الليلة الخمسين لمقتل السادات، لم أكتشف أية علاقة بين هذا وذاك وتلك، لكنه استمر في سرد وقائع ليلة الزفاف وما حدث منها حين كان يُقبلها في وجنتيها ثم شفتيها .ثم.....

شدني الرجل من كتفي قرب فمه من إذني أو أذنه من فمي أكثر من اللازم موشوشا إياي. بما معناه أن هؤلاء مجانين وأنه العاقل الوحيد في العالم، وأن فانتزيا الحزن الجميل راودته عن نفسها ذات مساء لكنه رفض. وأن امرأة قد هيئت له نفسها. لكن المكان لم يكن يسمح إلى جانب أنه هو نفسه لا يسمح لنفسه أن تفعلها أبدا. ورفض هاج وقعد وماد وفاض،

أي تواطؤ مستحيل،

شرح لي علاقة الديالكتيك بالميثولوجيا وكيف أن مَنىّ الرجل قاصرا في أحيان كثيرة للوصول لعمق الأنثى الم تأت له بولد منذ عشرين عاما.

طلب منى أن أكون أكثر شجاعة وأكثر إقداما.

كنت أتابع أوراقي التي ملأت الحارات اخترقت حواجز الصوت والضوء \ الإذاعة والتليفزيون ثم هتف الرجل بسقوط النساء جميعا ولعن المرأة عموما وزوجته بشكل خاص خاصة تلك الأيام الجميلة التي عاشها معها

صوت الكورال: النيل صوت العاشقون مبتدأ

تأملت في لحظة ما وجه حبيبتي المتسع البياض.وغرقت حتى أعماقي في عسل عينيه شربت .ارتويت وما ارتويت لكنى توهمت. تمرغت فوق رموشها البابلية، اعتقدت أيما اعتقاد أنها كأشرعة المراكب.. حين يهزها الهواء وأنها صافية /صافية رائعة إلى حد بعيد كالبحار والأنهار والجبال

" يا حبيبي لا تسل أين الهوا..... كان صرحا من خيالا فهوا

ظللت وقتا كبيرا أتمعن في هدوء يديها وتوتري ووقتا أكبر ألعن أيامي التي هي أيامها ألعن ضوء السماء في حديقة الأندلس لأنه لا يحافظ على دهشتي حين ألمسها ثم ألثمها ثم أحضنها مع إحساس بالخوف،الارتباك ،الاندهاش \ القلق والحزن فأقف كما الرياح الهائجة في عز الشتاء كيما أحافظ على عذرية بكاءها / فأنا أحب العربات، الأرصفة، التسكع الليلي، رحلات ابن بطوطة – صوت القطارات ووجوه الفتارين \ اختراعات جالليو.والنيل وهو يعانق انفجاري أو انكساري والمطر الذي بلل ما أرتدي لأعود فارتدى ما يرد لهفتي وحيرتي ويردني في كل الأماكن صمت \ حنين وبراح كنت أتأكل من قمة الرأس إلى أخمص القدمين في الكلمات والشجن. أنحبس في خلاياي رغم أنه لم يكن

لانتظاري في المكان أي مبرر حقيقي غير أن أوراق المجلات عادت، ملأت الفضاء.

كنت أحترس المرور، أحاذر، أنا المبتلى بداء الحذر/ أحاذر كيما تمر الأعوام فأرتل المسير نحو الحنين إلى زيتونة الشمس أمسكني الرجل من يدي أجلسني على الأرض وحاول أن يخفف من توتري وقال(وأنا يا رجل أمد بصري إلى آخر الشوف وأشوف مثل كل الناس وإلى ياقوتة الحلم و الحمل، أمد عقلي لنهاية المدى و أميد، إلى الغناء البدائي ارتد بدائيا. أحب النخيل والسيسبان، وقاع الأرض كي أعود للمساء الحزين لأنه هو ذات المساء الذي دعك فناء روحي الطيبة ووجه المخرج المخزي وعيون الممثلين الحائرة كي أعود مزودا بالانبطاح على ظهري فوق البنايات القديمة. أقرأ عن المدن القديمة.الرحلات القديمة .الأشياء القديمة كلها أحبها لأغرق في تاريخ المسير لكيما أوغل في القدم.ألف عام كل نهار،كل ليل أنا مازلت مرتحلا في انبهاري بالقدم أشرت للرجل على النيل

" صوت الكورال ..... عدت وأشرت على النيل، انحنيت أمامه في تواضع مخجل. شد على يدي

قال أنني ممثل قدير عندما رأى دموعي تنهمر كما المطر منفعلا،

قال أني أصلح في المشاهد الدرامية،

هلل وجهي بالزغاريد أطلقت عيوني شعاع انبهارها لأمنح قلبي مساحة من الأمل الغبي لأنني برئ من استدراج روحي في فخاخ تشردي دائما محاذرا من احتكاك جسدي بالحوائط الأسمنتية الهشة

قلت أنني حتى الآن لم استطع أن أرى المخرج

قال : قم اغسل رأسك عينيك، يديك، قدميك، شفتيك، زنديك،

اغتسلت من وحل الأغاني الجديدة ورمت القلب. دخلت في تراتيل الأمان من هلعي تركت المجلات تقفز كما تريد سحبت الشمس بعنف من الأفق ثم رددتها للأفق سكبت على روحي المياه على جسدي المياه ثم المياه على المياه،

أطفئت البراكين في ذاتي المحنطة بالحنين، تذكرت خيوط العناكب في حجرتي.

فأنا لي حجرة أعلى البناية التي هناك تذكرت وجه أخواتي ومشهد من أوبريت الأميرة العائدة

قال – وأنا كذلك يا رجل عائد إلى غرفتي أو إلى حجرتي أؤكد لك أن لي حجرة أنام فيها.

تأكد الرجل من ذلك تماما وتأكدت من أن له بيتا وأولادا ووظيفة يأكل منها

اطمئن كل منا على الآخر تماما. مد يده بتراخ وأعطاني سيجارة أشعلت له سيجارته.

مضينا تاركين كل شئ حولنا في هلع،

كان المخرج يلعن الممثلين/ المخرجين/ المؤلفين/المصورين /وكاتبي السيناريو المشاهدين والكتب /المجلات /أصحاب العاهات /الشحاتين وجميع شوارع المدينة الباهتة.

فاطمة ٢ (فلاش أخر مرة)

لم أكن أناقش أن من شأن الدنيا أن تسير علي هواها ، وفاطمة تتحسس بشرتها وسمرتها اللافتة للنظر.

حيث كان من حقها أن تحسن اختيار من سيكون زوجها أو بعلها مع افتراض حسن النوايا أنه لا توجد نقطة فوق العين في كلمة بعلها .

وليس لي ذنب إذا وضعها أحد يفترض غير ما أردت .

أنا أعرف أن مسألة فاطمة تتأرجح في يدي وتصب في أيدي كثيرة تناولها رغيف الخبز وفوقه قطعة الجبن .

وتجلس متكومة في ركن هادئة راضية ضاحكة .

ليس في عبط ولكن يخيل لمن يراها أنها كذلك ، وبأبسط مما أتصور أو يتصور أي أحد فأن فاطمة تأكل وتشرب وتتحدث وتمضغ في أثناء ذلك الأكل والكلام وكأنها لم تسمع . وتكون ضاحكة ليس في بلاهة كما تدعي روايات كثيرة قيلت عنها في تفسير أصل مجيئها وانحدار حسبها ونسبها ومهمتها وأهميتها عند الهانم والبيه والولد والمودموزيل .

وان كانت تعاني من أزمة الإذعان التام للأوامر .

اعذروني إن كنت أعري فاطمة وأخلع أثوابها وأمزق سروالها مع أنها كانت تلبس ملابسها في عز القيالة .

ملابسها تلك المجلدعة القذرة الرثة وهي تسير زاحفة للشارع ، تجر شبشبا مقطوعا لا يتحمل وقفة كتكوت عليه

وتحمل شعرا منكوشا أشعثا فوق رأسها الصغير .

عند البقال تقف ساكنة ، غير أنها كانت تضحك في بلاهة .

أنا لا اومىء بشيء وان كنت أحاول أن أتدحرج

بذهني ليس كاملا نحو ما تأكل فاطمة وما تلبس

ولست أعني بذلك شيئا بل لأنها امرأة ..

أنثي .. نعم .

هي امرأة نحيفة وعيناها يملأهم العمص وأطرافها متجلدة

ومتورمة من استخدام الرابسو والصابون وسلك النحاس

ووقفة المطبخ .

ولكنها مع ذلك امرأة ..

وقد قدر لي أن أجاهد معها وأستخرج وحل أغانيها وشوق أعينها .

وان كان علينا أن نكون أكثر حكمة وترويا ولو كنت مكان الدواليب والأطباق والسكاكين والملاعق والملابس والمياه والحوائط والغرابيل والصراصير والهاموش .

لكنت قد عذرت فاطمة ولكنت قد توقعت ارتباك البحر حين نزلته وهيجان الحزن وهو يمسها وينال منها .

وأقوال كثيرة أقولها لها .. وهي تنكش رأسها وتمسح الهباب عن المواعين وتسحب الحائط من إمامها وتسمعني وتضحك أرنبة انفها وتهتز أمامي .

وأزداد اختناقا وتسود الدنيا أمامي وهي تضحك في بلاهة

لم أكن أناقش أن من حق الدنيا أن تسير علي هواها ولتذهب فاطمة تعمل لنا شايا وتغلق أسد العيون المفتوحة عن أخرها وتستأنس أمن الضفادع وشروخ الحيطان وحبال الغسيل وزمجرة قطار أخر الليل .

أعترف بأني لم أعد أستطيع السكوت أكثر من ذلك ولا أستطيع تخمين ماسوف يحدث لفاطمة إذ أنها سكتت ونحن في منتصف الليل قبل أن تقع أية مشكلة .

كان من المفترض أن أقوم ، أو أستأذن حالا.... لكن الرجل كان كريما انكمش لفترة ثم ازداد ابتهاجا وحمرة وازدادت الهانم عطشا وأسد عينها المفتوح يزداد توحشا .

وضعت جنيهات ورقية في صدرها وغمزت بطرف عينها ولكزت بيدها وهرشت في رأسها واشرأبت بعنقها .

ونهرت فاطمة التي كانت تتدحرج من يدي ولا أستطيع أن أوقفها وأمرتها للمرة الخمسين أمامي ..

أصبح من المؤكد أن فاطمة تدحرجت من يدي تماما رغم أني لم أكن أناقش أن من حق الدنيا أن تسير علي هواها أو أن من حق فاطمة أن تضحك في بلاهة ..

فعلة فاعل فعل عدم الفعل

١ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، .. ، ٥١ رقم الشارع ، اسفلت الشارع عتبات الشارع وانت هكذا طوال عمرك في الشوارع تتمشي تروح ، تسير منفردا كل الهواجس كانت تجيء اليك تملاك ..تبقي بك رغبة واحدة ، أن ترمي للمدي كرة فتطير ، أن تقذف شيئا في الهواء .

هكذا كنت في وسط الشارع في اول الشارع ومشيت من حارة لحارة من زقاق لبراح لمنعطف ، لميدان فسيح . للفضاء البعيد مشيت من شمس لضحي لغروب ، شاحب هزيل ومطر خفيف خفيف امسكت حرفا + حرفا = كلمة + كلمة = جملة + جملة \ معني ،

ويا رعبك من الليل ..

حين تعجز الحروف عن بيان مدلول الكلام ولكنها رغبة تمضي وتمضي كيما تسافر فيك الشوارع يبتلعك الضوء ، النهار ، الحلم ، الراية . الأشياء كلها تفترسك ضربة الصول علي وجهك لطمة تعرفها لا محالة تنظر في كل الفتارين وجهك . اهاتك . ملابسك . انت كما أنت لا تدري غير الشوارع مفاتيحك محطتك التي تحب ، عربتك التي تركب \ منزلك الذي يتسع رغم أنه لا منزل لك ولا جدران ولا شيء لكنك كنت تروح لهم كي تبيت ليلا ثقيلا عليهم وعليك .

الان لا شيء .. صمت فاجع سكوت همس . س ، س. استكانة تامة هل وجدتك مندهشا مرة وهم لجوارك كنت منفلت الاعصاب وهم باردين .

قلت عليك ان تسير، ان تعيش ، ان تقول او تسكت لا يهم كل ذلك ، لا يهم انت لا يهمك احد في العالم ثم انك تمشي ليس بك رغبة في المشي لكنما قدماك المرهقتان ماضيتان وفقط لا تتوقف ابدا ولن تتوقف ليلا ماشيا بلا هدف منكسرا

، تشعل من الوقت الباقي حكاية ، حكايتان ، ثلاث حكايات عن جدك ، عن ابيك عنك ، عنهم \ انت لم تنته من مرة الا لشيء وحيد ...

فزعك ، انت مفزوع ، مرعوب ، حيث كان من الممكن ان تكون اكث حذرااو اكثر خبثا او تنام بدلا من أن تقول لتنهزم وتمشي في الشوارع وفي الحارات وفي اماكن ضيقة لتلمس الجدران ، تنحشر في الاتوبيسات ، بين الناس هكذا انت لست غريب عنهم . نعم وانت منهم وانت منك ضربة المخبر في صدرك لا تعني سوي شيء بسيط تعرفه وانت تشعر الناس ويشعروك ، رغم انه لم يكن بك رغبة في استكمال المسيروتركت نصف اليقظة لتسيل ، تسيل ببطء شديد نحو راسك المستهدف غارقا في تفاصيل أشياء غريبة . تحولت وراءك الي صور داخلك وخارخك جزءا من التكعيبة والتعبيرية اشباح ، ظلال رغم ان المسالة كانت تتدحرج من يديك ببساطة متناهية وتمضي في اتجاه اخر لا يمكن لي او لك او لاي واحد حتي هي ان تتحكم فيه ، ولكنك توهمت ذلك عم حسن قال : انه راها هذا الصباح ترتدي فستانا اسود لا تختم .. ترتدي الاسود أو تسير عارية ما ذنبك أنت .. انت فتحت أذنك كي لا تسمع شيء والميت ايما كان هو لم يعد له مستقبل هذا بديهي ، هي قررت أن تنفصل ....جميل .

وانت قررت ان تبعد عنها ... رائع . هذه هي كل الحكاية ... نعم .

واصبحت الاشياء كلعا عندك = صفي . صفر .

ثم ماذا يا عم حسن ؟

لا شيء محدد .

ترتدي الاسود او الاحم هذه حريتها وانا لي ان امضي هكذا .

أدخن سيجارة واعانق الحكاية ارسم منها مركبة وشرع وبلاد لا اعرفها او اعرفها . واتركني لامضي لن احادث نفسي لن أضحك منفردا كلما عانقني الطفولة لن أبتسم من ذكريات مضت تشف علي جدران حارتنا ، لن أتامل وجوه أصحابي القريبون مني .

ويا رعبك من الليل .....

حين تروح لهم ان كل شوارعك باردة انت الوحيد المليء بوجع لا يروح يزيدك وحشة وفزعا، يزيد الهك الرخامي صلابة ، يزيد معبودك الوثني قوة ، انت لم يكن الهك طازجا وانت كنت احببت المسير هكذا تائها أو ضائعا او خائفا ، حيث تلقيك الشوارع علي الابواب علي البيوت علي العربات علي الجدران علي الناس فتقف .

تنتهي في كل مرة اليهم لتبدا او تنتهي وتبدا موتا بطيئا مملا ساذجا يجيئك في صبحك ومساؤك .

حين العواجيز تسمعهم فلا تصدقهم ، لم تكن مرة صدقتهم كانت رواك غائمةرغم ذلك وشوارعك نظيفة لا لم تكن نظيفة ، نعم لم تكن نظيفة وانت لن تبوح لاحد بسر الشوارع وما تفعله فيك ، لن تسكت علي امتهانك كل مرة لن تناقش شيئا ذي بال \ لن تذهب لاحد ، لن تنام بعد الفجر كل ليلة \ لن تصحو ، لن تتناول عشائك \ لن تدخن \ لن تتمشي في شرع البحر وحدك بعد منتصف الليل \ لن تترك المحطات لتسلمك للارصفة الجانبية . لن تقرأ اشعار درويش ولا كتب أنيس منصور لن تتطالع بعد الان كتابات فلسفة العصرهأ ها هأ أنت حر لن تشرب الشاي بالنعناع... أنت حر .

لن تتابع الاحداث الدامية في الجانب الاخر للعالم .. انت حر .

هو ذا شيء يدفعك للطفو هكذا .. هكذا شيء يستبيحك ، هكذا رغم اني أمسكتك متلبسابالضحك القاسي كنت صادقا حين فعلتها حين ضحكت ضحكا ضحكا قاسيا ، وهيترتدي الاسود .

لماذا يا عم حسين ؟

لست أدري يا استاذ.

كيف لا تدري ؟ أو المطلوب مني ان أدريكل شيءمنها وهي التي تركتني لرعبي .

كيف لا تدري وأنت الذيبحث عنها الذي كان يراها كل يوم وينعم بالنظر لعيونها الجميلة ووجهه الالطفولي البريء وضحكتها ويقول بأنها البريءالوحيدفي زمن الخطيئة .

كيف لا تدري وأنت تسمع ضحكتها الخافته الرائعة في أذنيك تسري عنك . كيف لا تدري وأنت المحروم منها من شقاوتها وعفويتها وعذوبتها . هي حيرتك وحزنك وعذابك حين تتوه في زحمة الخلق تأخذك اليها .

وأنت كنت نزلت لعيونها وجلست في حنينها خلف اسوار الجامعة تقبلها بعفويه غريبة ثم تضحكان من خوفكم وجال يسيرون لحفظ النظام .

أي نظام هذا لا يهمانت كسرت النظام ورحت قبلتها قبلة واحدة طالت القبلة وطالت استبحت لنفسك شفتيها نسيت أنت النظام ، انت كنت نسيته لماذا نسيت ؟ حيث في كل الشوارع رحت . مشيت ، عانقت وحدك لهفتكوحيرتك الشوارع جاتك ، عانقتك ، أخذتك لها ، احتوتك كلك فمشيت أنت لها ، انت الذي مشيت لها خارجا من وقتك الغائت من زمنك العاهر وذهبت طريدا مطاردا محموما لا تعرف سوي الوجع والاله الخشبي الذي يعرفك وتعرفه والذي يحبك وتحبه .

ماذا انت تريد ؟

لا شيء .

قلت ماذا ؟

لا شيء .

قل لي ماذا انت تريد ؟

قلت لك لا شيء .

لماذا لا تبلل عيناك بوجعك ؟

لأنه لا فائدة من ذلك .

اذن ماذا تريد ؟

قلت لا شيء .

لن تجرب طرقا اخري في السيطرة علي نفسك ؟

نعم .

لن تعانق صورة البنت في صدرك .

لن اعانق .

لن تفتح المذياع ثانية . لن أفتح الان ...

المذياع يتهمني بالغباء ، ها هأ ها .

لن تنظر للسقف وتتامل كل الخطوط .

لا .

لن تفكر في أحد .

اذن قل لي ماذا تريد ؟

اسالتني ، أنت كنت سالتني وجهت لي السؤال ووجهت لك الاجابة المسؤلة عنك . كنت مرتعشا حين سألتني مرتجا ضائعا تائها كل هؤلاء معا . التخفت بملابسي وتكرمشت في جلدي ثبت توازني ومشيت نعم قبلتها قبلة طويلة عارمة وسقطنا معا في السؤال .

اسئلتك لا اجابة لها ، كل شيء يضيع مثلك حين تتوهك الشوارع فتضيع فيها تبدأ وتنتهي اليها وهي المفتوحة عليك مثل النوافذ تيدك أنت تتحداكانت . حين قالت ذات مرة لك . لا أحد يلاخذك يا ذا الولد غيري انا ، الشوارع تتحداك علانية لم يكن هناك من أحد .

من ذا الذي يستطيع ضمك غيرها ، من ذا الذي يأخذك غيرها اقتحموك وضاجعوك عفوة \ الشوارع تزوجتك في ليلة شجية وتناوبت عليك ارصفتها المليئة بالاتربة المسحوقة بأقدام البشر وصاحبتك فئران الليل الدامي واكتسحتك السكينة .

ويا رعبك من الليل ....

حين حملت انكسارك ومضيت ارتد صوتك يطاردك . يطردك من النوم ، يذهب منهم اليك ، اليك منهم لا يهم وانت لا تريد الذهاب تخاف مشاريع حكايتهم ضحكاتهم عليك .

انت متورط في الحكاية لا أهل لك ولا ناس غيرهم فحين سحبت جزءا من بقاياك مع الذين ارتكبوا ذنب ضياعك ذهبت للشارع كعادتك خائفا وتائها ، اشتكت الشوارع للطرقات والتماثيل القديمة في اليادين قهقهت عليك لكنما صالحتك هيبجلوس المقاهي وتامل الارصفة والناس ورضيت أن تكون لها أنا وانت والهنا الرخامي لها ، كل شيء لها .

حين تدور بلا رغبة في المشي تدحرجك الشوارع للشوارع وتدحرجها ، تبثها كل يوم شوقا حزينا فتقبلك في جبهتك فتمضي ، تحتضن كل شيء بلا خوف ولا فزع ولا ضحك فقط تأخذك اليها ولما كانت الميادين تتوه من خطوتك ذلك الخطو الذي تعرفه ، حلم النوم تعرفه ، والناس في الصباح تعرفهم ، اثر النوم علي الناس تعرفه ، حلم النوم تعرفه . سبب الحلم تعرفه ....

عند ذلك توقفت تأملت البيوت التي تعرفها بيوت هي نفسها البيوت . شكل النهار الذي تعرفه ، نهار من فتحة الزنزانة كنت تحسها وحين خرجت لملمت الشوارع في حينها من شارع لشارع ، ولما أخذوك وذفوك بداية بضربة الصول علي وجهك المستنيم فنسيت انت النظام وعاندتك العناوين والواجهاتوالطرقات نسيتها والنساء اللواتي ذهبن في وقتك الرهيب ذهبن عرفت الحكاية ، أنت الذي كنت ذهبت .

وانت جئت معي ، صاحبتني وصاحبتك وقلت كلاما لي لا أفهمه ولا أعرفه ولا حتي اود ن اعرف لكنني اعرفني كنت فاهما أنك تفهم اني انوي ان اهرب.. اذوغ .

وكيف لي أن اعرففهمك هذا ؟

لانك مني وانا منك .

انت دحرجتني اليهم .

وانت قبلت اللعبة .

ثم ماذا سوف تفعل .

لا شيء .

الشوارع ترميني علي العربات علي المشاوير علي السفر علي بابهم ، فانت كنت حين وقفت أمام الباب ترددت ، تركت ال\شارع ووقفت اقفلت الجاكيت وترددت وامعنت التفكير وترددت ومسحت جبينك من الارتباك ، طقطقت اصابعك اكثر من مرة واعتدلت واقفا شامخا منتصبا حاسما مترقبا صرير الباب ، ابتسامه هادئة عارفة انك قادم \ ابتسامة لزجة متقنة مدربة .

كلمة معرفة ، كلمتان .

اتفضل متي خرجت ؟

بالامس .

اتفضل ادخل . أدخل لا أحد غريب ادخل هنا انت دخلت .

يدها هي التي اشارت لك بالدخول \ أصابعها هي التي امتدت \ كفها هي التي انسحبت \ وانت ساعتها انسحبت مني الي ومنهم الي كنت تشد الجاكيت لتحت يداريك يخبئك لم يغعلها من يداريك . سحبتني منهم .

سحبوك هم اخذوك هم .. كلهن يخادعنك حتي انت تخدعني تسير عكسي أنا في اتجاه وانا في اتجاه تعانقهم ولا تعانقني ، تركتهم يتاملوك يتحدثون هم ، يشعلون الحكايات لا .... انت قبلها كنت قد جلست اجلس \ اتفضل \ اقعد \ استريح .

شيء لم تكن تعرفه داخلك غير مستريح ولكنك رغم ذلك استرحت شيء تلمسه فلا تعرفه ولكنك استرحت ورحت لمشاريعكنت انتويتها والجو المليء بالكلمات الفاضحة لك انت الذي كنت قد جلست ليس احد غيرك .

قلقك الخفي هدا ، فاقتسمتم صمتا ما ، وكلاما ما ، شعرت أنك مشيت من النهار لليل \ الليل هو الذي مشي اليك زحف اليكارعبك باغتك طلوعه .

ويا رعبك من الليل .....

وهم يبتسمون ساخرون أنت لا تفك انك ابتسمت ساخرا مني وانك ضحكت بصوت عال ضحكت علك تقرا شيئا لم تستطع .....

علك تستعيد شيئا لم تستطع انت كنت مهزوما تماما تفهم ...

لا تفهم كانوا يبتسمون يحذرون .

وجودك وأنت تحدد الليل بالساعات ، بالمواقيت ، بصوت المؤذن في الفجر ، بالصلاة ، الليل هو الذي حدد وجودك والان فقط ... لأ .

قبل الأن ولا بعد الأن أنت نهب لكل العيون والعيون التي تواجهك والتي تسألك ، تعرفك العيون التي تود ان تفهم انا نفسي لا أفهم .

وانت لم تكن تفهم ولا حتي تود كنت انتويت الذهاب لهم .

هي أختك نعم .

صديقتك نعم .

حبيبتك نعم امها تحبك نعم .

امك تحبك نعم .

أنت محاط بالكلام والارتباكات ، نعم .

كنت حين ضحكت كانوا هم قد ضحكوا قبل ذلك بساعات بايام باسابيع هم كانوا قد ضحكوا قبلك وبعدي ووقفنا هكذا في المنتصف قبل ضحككوبعد ضحكي . انا لا فهم لا اخيرا ولا اولا انهم ضحكوا علينا ولكني تذكرتهم ساكتين ، وهم يذاربني خجل طفولي شيء طفولي انتصر علي حين رن جرس التليفون وجرس الباب وجرس المنبه وجرس مايرن وانت ترن من الارتباك .

جرس يريد انتشالك والقاءك في الشارع حين عرضوا عليك المبيت كان الكلام هو نفسه الكلام الذي تعرف والذي يساوي تماما حروف الهجاية والسماء صافية والولد جلس ، انت الذي كنت قد جلست وضحكت وقبلها وقفت تددت أقفلت الجاكيت ، وترددت انت اوقفت أمام الباب كنت قد جئت .

عرفت الشارع ، ركبت السيارة ونزلت ومشيت فبلها كنت انتويت مشاريع الحكايات كنت في قفصك الحديدي قد نمت تفكر ثم تقرر الا تروح ، تتردد في الذهاب ولكنك كنت ذهبت ، هم الذين قالوا يجب ان تجيءان تكون معنا وأنت كنت معهم \ .. معهم هكذا دون شيء .

هكذا تطفو .

هكذا حالما .

هكذا .... وهن افترسناك هكذا وأنت رجل وهن هكذا .. اختلقت حكايات وحواديت حكيتها ، أعدت صيغتها كي لا تبدو مرتبكا لم تكن تريد الخروج ، كنت منحشرا في تفاصيل لا تريدها مرة ، مرتين ، ثلاث مرات .

كنت انهزمت .

قلت انكساري في الشوارع لم يكن ....

قلت انكسارك في النهار.. فلم يكن ....

قلت انكسارك في زمانك .. لم يكن ...

فمسكت انت راغبا في فعلة الفعل . كل الاشياء تركتك بك رغبة واحدة ، ان تكون فاعل فعل عدم الفعل .

١٩٩٢

التداعيات الفهرس

١ -محاولة الخروج

٢-ذلك السيد اناوالسادة هم

٣-واقذف بنفسي للبحر

٤-الانسحاب للداخل غير أمن

٥-التواطؤ الذي حصل بين الرقص والصلاة

٦-السيدة الجميلة

٧- فصول متناثرة من حياة صديق بليد

٨-واحد غيري اسمه الباشمحضر

٩-أحادية واحدة لكل واحد

١٠-فاطمة الأولى

١١-أوراق ذابلة

١٢-حكاية منسية وسط تفاصيل هائلة من الوجع

١٣-وأعود لأقذف بنفسي في البحر

١٤-رؤية تتداعى

١٥- التداعيات

١٦- لتداعيات الأخيرة وبعض من الوجع الدائم

١٧-السقوط

١٨-تقرير عن الحفل البهيج

١٩-مسابقة الظل

٢٠- حلم مرهق وقديم

٢١-فاطمة ٢ فلاش أخر مرة

٢٢- فعلة فاعل فعل عدم الفعل